جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام

تأليف أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري

صاحب هذا الكتاب من المؤلفين الأدباء عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع في دولة الأيوبيين، واتصل بأحد ملوكهم الملك المسعود صاحب اليمن .

والمؤلف هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري، ذكره ابن خلكان (في ترجمة طغتكين بن أيوب ١/ ٢٩٨) فقال: «كان أديباً شاعراً وكان موجوداً سنة ٦١٧ وتوفي في هذه السنة أو بعدها، وكان أبوه أبو الثناء محمود نحوياً متصدراً بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير، والعماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة ٥٦٥ وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر» والصحيح أنه عاش الى ما بعد سنة ٦٢٢ بدل على ذلك أرجوزة له في التاريخ ذكر فيها حوادث العالم من خلق آدم الى سنة ٦٢٢ والأرجوزة موجودة في جمهرة الإسلام .

وقد ورد في مقدمة الكتاب أنه ألفه لخزانة صاحب اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٦ .

وكأن المؤلف صار من خاصة الملك المسعود فلقد ترك دمشق وسكن اليمن وأكثر من مدح الملك المسعود، وقصائده في هذا الشأن مع قصائد ابنه أحمد موجودة في الجمهرة .

وكتاب الجمهرة في جزءين عدد صفحاته ٥٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطراً، وقد جعله ستة عشر كتاباً تشتمل على مختارات من النظم والنثر، وفي كل كتاب عشرة أبواب خمسة منها للنظم وخمسة للنثر، فالجميع مائة وستون باباً نصفها نظم ونصفها نثر. وفي آخر كل كتاب قصيدة لمؤلف وأخرى لابنه أحمد في مدح الملك المسعود. ولم يختر في هذه المجموعة الضخمة شيئاً من شعر الجاهليين ولا من نثرهم ولذلك سماها جمهرة الإسلام.

من هذا الكتاب نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي عن نسخة مخطوطة في جامعة ليدن رقم ٤٨٠ تاريخ نسخها سنة ٦٩٧. وفي هذه المجموعة نصوص من الأدب العالي شعراً ونثراً لا تكاد توجد تامة في غيرها من المظان؛ من ذلك قصيدة منصور النمري التي أولها:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ

وقصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي التي أولها:

فما أم سقبٍ أودعته قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

وقد حققناها هذه القصيدة ونشرناها في هذه المجلة م ٣٢ ص ٥٦٣

والقصيدة الرصافية لعلي بن الجهم أولها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد حققناها ونشرناها مع تكملة ديوان علي بن الجهم.

ومن ذلك رسائل نادرة ليعقوب بن اسحق الكندي، وابن قتيبة، ومحمد بن زكريا الرازي، وأبي العلاء المعري، والشريف الرضي وغيرهم. وهاك بياناً بما اشتملت عليه هذه المجموعة من الكتب والأبواب:

الكتاب الأول في المدح، الكتاب الثاني في الغزل، الكتاب الثالث في الافتخار، الكتاب الرابع في الرثاء، الكتاب الخامس في الهجاء، الكتاب السادس في الزهد، الكتاب السابع في العتاب، الكتاب الثامن في المجون،

الكتاب التاسع في الأراجيز ، الكتاب العاشر في الشكوى ، الكتاب الحادي عشر في التهاني ، الكتاب الثاني عشر في المثلث ، الكتاب الثالث عشر في الأوصاف ، الكتاب الرابع عشر في الاعتذار ، الكتاب الخامس عشر في المخمس والموشح ، الكتاب السادس عشر في الجواب والخطاب .

الكتاب الأول في المدح عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة الأعشى ميمون في مدح النبي عليه السلام وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

الباب الثاني : أخبار نبوية وبشائر ان اسمه أحمد أو محمد أو عبد الله .

الباب الثالث : قصيدة الأخطل في عبد الملك بن مروان وأولها :

خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

الباب الرابع : رسالة للقاضي الفاضل في أخذ أسطول الافرنج بأسطول الملك العادل سنة ٥٨٨ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب الخامس : قصيدة الحسكني في أهل البيت وأولها :

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجَلَدُ ربعان كلٌّ بعد سكنى فدفدُ

الباب السادس : عبد الله بن عباس يصف الخلفاء الراشدين وأباه العباس في مجلس معاوية على سبيل الإجابة .

الباب السابع : قصيدة ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير وأولها :

أقفرتْ بعد عبد شمس كَداءُ فَكُدَيٌّ فالركن فالبطحاءُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في فتح القدس .

الباب التاسع : قصيدة منصور النمري في هرون الرشيد وأولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ

وهذه القصيدة على طولها من أجود الشعر ، ولم أجدها كاملةً إلا في هذه المجموعة .

الباب العاشر : أبيات لصاحب المجموعة في الملك الكامل تقرأ على عدة وجوه .

الكتاب الثاني في الغزل عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة المخزومي التي أولها :

أمن آل نعم أنت غادٍ مبكرُ   غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجرُ

الباب الثاني : خبر الفتى العذري وعمر بن أبي ربيعة المخزومي .

الباب الثالث : قصيدة العكوك الكندي التي أولها :

هل بالطلول لسائلٍ ردُّ   أم لها بتكلمٍ عهدُ

الباب الرابع : يوم في دير مران لأبي الفرج الببغاء .

الباب الخامس : قصيدة لذي الرمة في صاحبته مي وأولها :

ألا أيهذا المنزل الدارس أسلمِ   وأسقيتَ صوب الباكر المتغيمِ

وتلي هذه القصيدة قصيدة أخرى له أولها :

ألربع ظلّتْ عينك الماء تهملُ   رشاشاً كما استن الجمان المفصلُ

الباب السادس : حديث وصي بنت أبي سلمة المهلبية والفتى القرشي .

الباب السابع : قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) التي أولها :

وساحرة العينين لا تعرف السحرا   تواصلني سراً وتقتلني جهرا

الباب الثامن : في أخبار مسلم بن الوليد مع هرون الرشيد في هذا الغزل .

الباب التاسع : قصيدة لديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي أولها :

سهام لحاظ من قسي الحواجبِ   تطعن الأسى في القلب من كل جانبِ

الباب العاشر : في ذكر القاضي يحيى بن أكثم .

الكتاب الثالث في الافتخار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة في الفخر للملك المعز اسمعيل بن الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين الأيوبي صاحب اليمن وفيها يدعي أن بني أيوب أمويون والقصيدة طويلة يذكر فيها مناقب بني أيوب وبني أمية .

الباب الثاني : في كسر أسطول الروم على الاسكندرية .

الباب الثالث : في الافتخار بالحرمين .

الباب الرابع : فصول لابن أبي الشخباء [١] .

الباب الخامس : قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

الباب السادس : رسالة بفتح طبرية .

الباب السابع : قصيدة لعلوي البصرة صاحب الزنج أولها :

رأيت المقام على الاقتصادِ قنوعاً به ذلةً في العبادِ

الباب الثامن : حديث علوي البصرة .

الباب التاسع : قصيدتان لمحمود بن نعمة الشيزري والد صاحب المجموعة .

الباب العاشر : سجل عن الملك العادل بولاية قوص وأسوان .

الكتاب الرابع في الرثاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة دعبل الخزاعي في رثاء آل البيت وأولها :

مدارس آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مقفر العرصاتِ

الباب الثاني : جواب تعزية بأسد الدين شيركوه .

الباب الثالث : قصيدة لابن الرومي يرثي فيها قتلى أهل البصرة في ثورة علوي البصرة صاحب الزنج أولها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنامِ شغلها عنه بالدموع السجامِ

الباب الرابع : رسالة الشريف الرضي الى أبي القاسم سليمان بن أحمد .

الباب الخامس : قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في رثاء أخيه سعيد وأولها :

---

(١) المذكور في كتب التراجم ابن الشخباء وهو الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء ويقال له الشيخ المجيد ، منشيء له خطب ورسائل جيدة وله نظم . أصله من عسقلان وتوفي بالقاهرة سنة ٤٨٢ (الأعلام للزركلي) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما أم سقب أودعته قرارة من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

الباب السادس : رسالة لأبي اسحق الصابي يعزي أبا الفتح بن العميد عن أبيه أبي الفضل .

الباب السابع : قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي اسحق الصابي وأولها :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ أرأيتَ كيف خبا ضياء النادي

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء في ولد كافي الكفاة وقد مات غريقاً .

الباب التاسع : قصيدة الرقاشي في رثاء البرامكة وأولها :

لا يفرحنّ بعيشة متنعمٌ كل السرور بأهله يتصرمُ

الباب العاشر : جواب تعزية بولد شمس الدولة توران شاه بن أيوب .

الكتاب الخامس في الهجاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لجرير يهجو الفرزدق أولها :

لا خير في مستعجلات الملاوم ولا في خليل وصله غير دائمِ

الباب الثاني : سجل القاضي الفاضل إلى هاشم بن محمد الواقي .

الباب الثالث : قصيدة للفرزدق يهجو بني جعفر أولها :

عرفت بأعلى رائس الثأو بعدما مضتْ سنةٌ أيامها وشهورُها

الباب الرابع : رسالة لابن أبي الشخباء في بعض الكتاب .

الباب الخامس : قصيدة لابن حجاج في رجل كبست زوجته مع ابنه أولها :

أوضح الحق منهج البرهانِ ومحا السر شائع الإعلانِ

الباب السادس : فصول لشمس المعالي قابوس بن وشمكير .

الباب السابع : قصيدة في الهجاء لابن واسانة أولها :

ويلك يا وجه الخشبْ يا جرذاً بلا ذَنَبْ

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء .

الباب التاسع : قصيدة لابن منير الطرابلسي كتبها الى الرئيس عفيف الدين المستوفي بحلب وهو مريض في حماة وقد اتصل به أنه نعي بحلب ودخلت الحشرية داره وأثبتوا ما فيها وختموا عليها ، ويعرّض ببعض اليهود أولها :

يا عفيف الدين الذي يده صر ف به أستكفُّ صرف الزمانِ

الباب العاشر : رسالة علي بن وشاح في ذم محمد بن جعفر الجهري .

الكتاب السادس : في الزهد عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدتان في الزهد لمحمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي مطلع الأولى :

أستغفر الله من تركي وإخلالي وهفوة خطرتْ مني على بالي

ومطلع الثانية :

استغفر الله العظيم وعُذْ به من شر غاوٍ في الخصام منافسِ

الباب الثاني : خطبة واصل بن عطاء في مجلس عمر بن عبد العزيز وقد تجنب فيها حرف الراء .

الباب الثالث : قصيدتان لأبي العتاهية مطلع الأولى :

لله عاقبة الأمور طوبى لمعتبر ذكورِ

ومطلع الثانية :

خليليَّ إن الهمَّ قد يتفرجُ ومن كان يبغي الحق فالحق أبلجُ

الباب الرابع : خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأولها :

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح .

الباب الخامس : قصيدة لعلي بن هشام أولها :

بينا الفتى في الأرض فوق الثرى أصبح في الملحود تحت الثرى

الباب السادس : منام حمزة بن حبيب الزيات .

الباب السابع : قصيدة لأبي جعفر النجار أولها :

شبابٌ كلامع برق رَحَلْ وشيب كمثل غريم نَزَلْ

الباب الثامن : الخطبة الرملية للمؤلف ·

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن ابراهيم الكيراني في الزهد أولها :

شكر الإله مزيدةٌ لك فاشكر وانظر إلى ألطافه وتدبّر

الباب العاشر : حديث الباجي في الزهد ·

الكتاب السابع في العتاب عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة لأبي العلاء المعري يعاتب خاله علي بن محمد بن سبيكة أولها :

تفديك النفوس ولا تفادا فأدن الوصل أو أطل البعادا

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء في العتاب ·

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي أولها :

أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهل وأرتاد جود الحب في منبت البخل

الباب الرابع : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير يعاتب خاله ·

الباب الخامس : قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

حتامَ نحن نساري النجم في الظلم وما سراه على خفٍّ ولا قدمِ

الباب السادس : رسالة للصابي يعاتب علي ابن الأنباري ·

الباب السابع : قصيدة لأبي بكر محمد (بن عيسى) المعروف بابن اللبانة (الأندلسي) في العتاب أولها :

ضحك الربيع بحيث تبكي الأربعُ لما بكى للغيث فيها مدمعُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في العتاب ·

الباب التاسع : قصيدتان في العتاب للحسين بن علي بن محمد القمي ·

الباب العاشر : رسالة للصابي يعاتب الخالديّين ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب الثامن في المجون والدعابة عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة للصنوبري أولها :

شربنا في بعاذين[١] على تلك الميادين

الباب الثاني : رسالة تهنئة بمولود لقابوس بن وشمكير على سبيل المجون .

الباب الثالث : قصيدة في المجون لمحمد بن الحجلي بن الصائغ الطبيب يذكر فيها أحوال الشبيبة والشيخوخة أولها :

ألمّ المشيب فأجلى أماما وأضحت حبال هواها رماما

الباب الرابع : رسالة في المجون والدعابة للقاضي الفاضل .

الباب الخامس : أرجوزة في المجون لأبي محمد الحسن بن وكيع التنيسي أولها :

يا سائلي عن أطيب الدهور وقعتَ في ذاك على الخبير

الباب السادس : حديث القدور وشهادة الخبير وأخبار حسان :

الباب السابع : مقصورة أبي الحكم الحكيم التي قالها في جماعة من شعراء دمشق أولها :

هاج الهوى يوم النوى جمر الجوى فالقلب موقوف على جمر الغضا

الباب الثامن : علي بن الجنيد الإسكافي وما جرى له مع المعتصم .

الباب التاسع : قصيدتان في المجون لأبي الرقعمق مطلع الأولى :

عاذلَ كم فيه تعذليني وكم إلى كم تؤنبيني

ومطلع الثانية :

عَدِّ عن قال وقيل وصعود ونزول

الباب العاشر : رسالة كتبها العتبي إلى صديق له قامر بكتبه وكان لها خطر فقمر .

(١) بعاذين قرية من قرى حلب .

الكتاب التاسع في الأراجيز عشرة أبواب .

الباب الأول : أرجوزة في نظائر (١) القرآن لأبي جعفر بن أحمد السراج القارئ أولها :

الحمد لله على ما ألهما   من حمده فما يزال منعما

الباب الثاني : رسالة الخط والقلم لابن قتيبة .

الباب الثالث : أرجوزة في الفرائض .

الباب الرابع : رسالة أفلاطون في وصف النساء ترجمة محمد بن زكريا الرازي .

الباب الخامس : أرجوزة للمؤلف في التاريخ من آدم إلى زمان الخليفة الناصر سنة ٦٢٢ أولها :

الحمد لله القديم الأولِ   بلا ابتداء والأخير الأزلي

الباب السادس : رسالة يعقوب بن إسحق الكندي الى بعض الخلفاء في جواهر السيوف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب السابع : ملحة الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري في النحو أولها :

أقول من بعد افتتاح القولِ   بحمد ذي الطول الشديد الحولِ

الباب الثامن : في منافع الخواص من تصانيف الحكماء وأقوال العلماء وهي في خواص الحيوان والأشجار والأحجار والصموغ والعزائم .

الباب التاسع : أرجوزة عبد الله بن رؤبة المعروف بالعجّاج أولها :

قد جبر الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ   وعَوّر الرحمنُ مَنْ وَلّى العَوَرْ

الباب العاشر : كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته لمحمد بن زكريا الرازي .

الكتاب العاشر في الشكوى عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة كتبها من الحبس عبد الملك بن إدريس الأندلسي الى ولده أولها :

---

(١) المراد بنظائر القرآن السور المتفقة في عدد الآيات .

ألوى بعزم تجلدي وتصبري نأي الأحبة واعتياد تذكري

الباب الثاني : رسالة للقاضي الفاضل بعث بها إلى الديوان الإمامي الناصري .

الباب الثالث : قصيدة للسري الرفاء كتبها الى أبي اسحق الصابي يشكو سرقة الخالديين لشعره ويذكر إغارتهما عليه ويحذره منهما أولها :

قد أظلتك يا أبا إسحاقِ غارة الشعر والمعاني الدقاقِ

الباب الرابع : رسالة لنشوان (الحميري) يشكو ضياع دفاتره .

الباب الخامس : قصيدة للسلامي يشكو حاله وسقطةً في سكره أولها :

محاسن غضت ناظري من تعتّبا وفضلٌ نهاني وصفه أن أشببا

الباب السادس : رسالة القاضي الفاضل إلى سيف الإسلام .

الباب السابع : قصيدة لأبي اسحق الصابي يشكو زمانةً لحقته وزمانه وعجزه وضعفه وحاجته إلى الجلوس في محفة إذا أراد التصرف في حوائجه أولها :

إذا ما تعدتْ بي وسارت محفةٌ لها أرجلٌ يسعى بها رجلانِ

الباب الثامن : خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسيره إلى الشام أولها : أيها الناس إن الله فرض الجهاد وعظّمه ....

الباب التاسع : قصيدة لعمارة اليمني في الشكوى كتبها الى صلاح الدين الأيوبي أولها :

أيا أذن الأيام إن قلتُ فاسمعي لنفثة مصدورٍ وأنة موجعِ

الباب العاشر : حديث مزنة امرأة مروان بن محمد مع الخيزران أم موسى الهادي وهرون الرشيد .

الكتاب الحادي عشر : في التهاني عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لمحمد بن سلطان بن حيوس يمدح ناصر الدولة ويهنيه بمولود أولها :

سل عن فضائلك الزمان ليخبرا فنظير ملكك ما رآه ولا يرى

الباب الثاني : رسالة القاضي الفاضل الى الإمام المستضيء يهنيه بفتح مصر .

الباب الثالث : قصيدة لأحمد بن محمد الخياط الدمشقي يمدح فخر الملك بن عمار ويهنيه بالعيد أولها :

أعطى الشباب من الآراب ما طلبا وراح يختال في ثوبي هوى وصبا

الباب الرابع : رسالة ابن أبي الشخباء الى أمير الجيوش يهنيه بكسر أطرز بن أوق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي علي ايرون بن مهمرد ؟ العاني يمدح مؤيد السلطان بن مكرم ويهنيه بظفره على عدوه بالمهرجان سنة ٤٠٢ أولها :

حسامك ماض والملوك تجانبه وجدك عال والسعود تناسبه

الباب السادس : رسالة الشريف الرضي الى الوزير سابور بن أزدشير يهنيه بعودة الوزارة إليه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب السابع : قصيدة لأبي القاسم محمد بن هانئ (الأندلسي) المعروف بابن المغربي يمدح بها جعفر بن علي ويهنيه بأخذ قلعة كتامة أولها :

بلى هـذه تيماء والأبلق الفردُ فـل أجات الأُسد ما فعل الأُسدُ

الباب الثامن : رسالة للصاحب بن عبّاد .

الباب التاسع : قصيدة لابن أبي الشخباء .

الباب العاشر : خبر عمرو بن مسعدة وحائك الكلام .

الكتاب الثاني عشر في المثلث عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

(والمراد بالمثلث هنـا القصيدة أو الرسالة المشتملة على ثلاثة أغراض)

الباب الأول : قصيدة للبعيث يتغزل فيها ويفتخر ويهجو أولها :

أهاج عليك الشوقَ أطلالُ دمنةٍ بناصفة الجوين أو جانب الهجلِ

الباب الثاني: رسالة للقاضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة المستضيء .

الباب الثالث : قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الباب الرابع : في ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني (بديع الزمان) وفصول من رسائله .

الباب الخامس : قصيدة لبكر بن النطاح يتغزل ويفتخر ويمدح بها أبا دلف العجلي أولها :

وليلة جمع لم أبت ناسياً لها وحين أفاض الناس من عرفات

الباب السادس : خطبتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الباب السابع : قصيدة للشماخ واسمه معقل بن ضرار أولها :

عفا بطن قوٍّ من سليمى فعالزٌ فذات الغضى فالمشرفات النواشزُ

الباب الثامن : رسائل لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة لعلي بن جبلة (العكوك) يمدح أبا دلف أولها :

ذاد وِردَ الغيِّ عن صَدَرِه وارعوى واللهو من وطره

الباب العاشر : رسالة لأبي سهل الطوسي في ذكر الأمير أبي الفضل عبد الله ابن أحمد الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره .

الكتاب الثالث عشر في الأوصاف عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة أبي نواس الحسن بن هانئ يمدح الخصيب بن عبد الحميد ويصف الطريق أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيورُ وميسور ما يرجى لديك عسيرُ

الباب الثاني : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير كتبها الى بعض الكتاب وكان قد أهدى إليه دواةً جعل داخلها قلماً وسكيناً ومقطاً .

الباب الثالث : قصيدة لخلف بن حيان المازني في وصف الفرس أولها :

نأتْ دارُ سلمى فشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

الباب الرابع : ولاية الحجاج على العراق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي طالب المأموني يصف داراً بناها بعض الوزراء أولها :

قد وجدنا خطى الكلام فساحا وجعلنا النسيب منك امتداحا

الباب السادس : وصف الأسد لأبي زبيد الطائي .

الباب السابع : قصيدة لحيص بيص في الأوصاف منها هذا البيت في إصابة المرمى :

كأن مرماه مغناطيس أنصله ففيه قبل انتحاء القصد تسديدُ

الباب الثامن : في وصف العشق .

الباب التاسع : قصيدة في وصف الأسد للبحتري أولها :

أجدك ما ينفك يسري لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوبا

الباب العاشر : رسالة للقاضي الفاضل في الأوصاف .

ARCHIVE

الكتاب الرابع عشر في الاعتذار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح بها أبا المغيث ابراهيم أمير دمشق ويعتذر إليه من هجو بلغه عنه أولها :

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بعدي ومحَّتْ كما محَّتْ وشائع من بُرْدِ

الباب الثاني : رسالة شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى الشريف حمزة ابن قاسم العلوي يعتذر عن كسرةٍ كُسِرَها في بعض بلاد العجم .

الباب الثالث : قصيدة لصردر يعتذر عن تأخر الزيارة .

قد آن للماطل أن يقتضى وأن يعافي الحب من أمرضا

الباب الرابع : أبو العلاء المعري يعتذر الى أبي نصر الفلاحي أيام وزارته بحلب لما استدعاه صاحبها عزيز الدولة ليجعل له دار علم .

الباب الخامس : قصيدة في الاعتذار لسعيد أحد الخالديّين أولها :

نيل المطالب بالمندية البترِ   لا بالأمانيِّ والتأميل والقدرِ

الباب السادس : رسالة لابن أبي الشخباء يعتذر إلى وزير بلغه أنه هجاه .

الباب السابع : قصيدة لأسامة بن مرشد يعتذر إلى ابن عمه صاحب قلعة شيزر عن قول بلغه عنه أولها :

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا   فعاد ينكر منا كل ما عرفا

الباب الثامن : رسالة القاضي الفاضل الى عبد المؤمن صاحب المغرب .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن نصر القيسراني يمدح الوزير جمال الدين أبا الرضا محمد بن صدقة ويعتذر إليه أولها :

لو كان مبرك للوشاة معرّضا   لم أغض من دمعي على جمر الغضا

الباب العاشر : رسالة من الملك بهاء الدولة بن بويه إلى الشريف الرضي .

الكتاب الخامس عشر في المخمسات عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لابن الهبارية أولها :

حيَّ على خير العملْ   على الغزالِ والغزَلْ
على العذار والكفلْ   على العناق والقُبَلْ
على رياض قطربلْ

فإنها جنانُ   ما مثلها مكانُ
الروْحُ والريحانُ   والحور والولدانُ
والوقت فيها معتدلْ

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء مبنية على حروف غير معجمة .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي خمّسها مؤيد الدولة (أسامة) بن منقذ أولها :

أسائقها للبين وهي عجولُ   تأنَّ فما هذا المسير قفولُ

الباب الرابع : رسالة لأبي اسحق الصابي بتحويل ميلاد عضد الدولة ٠

الباب الخامس : موشح لتاج الدين عثمان البلطي أوله :

وبلاء من روّاغ بجوره بقفـي

الباب السادس : رسالة للقاضي الفاضل بولاية الشرقية عن الملك العادل ٠

الباب السابع : تخميس قصيدة قيس بن ذريح التي أولها :

سقى طلل الدار التي أنتم بهـا حناتم وبلٍ صيّفٍ وربيعِ

الباب الثامن : فصول لأبي العلاء المعري ٠

الباب التاسع : قصيدة مخمسة على حروف المعجم لمحمد بن ابراهيم الكيزاني أولها :

عزّ الدواء وأعيا الداء أما لأحكام الهوى انتهاء
أصبحت فيا حكم القضاء قضيتي قضيةٌ عمياء
يا رب غفرانْ

الباب العاشر : فصول للشريف الرضي ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتابُ السادس عشر في الخطاب والجواب عشرة أبواب خمسة نظم في كل باب منها قصيدتان وخمسة نثر في كل باب منها رسالتان ٠

الباب الأول : قصيدة لأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي بعث بها الى الصاحب بن عباد يشكو إليه علو السن والنقرس أولها :

إلى الله أشكو ضيقَ شغلي وكم قبله من صبي قد شغاني

فكتب إليه الصاحب مجيباً بقصيدة أولها :

عناني من الهم ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني

الباب الثاني : رسالة للشريف الرضي بعث بهـا إلى القاسم عبد العزيز بن يوسف وجوابها :

الباب الثالث : قصيدة لابن الهبارية كتبها الى الرئيس البارع أبي عبد الله ابن الدباس أولها :

يابن ودي وأين مني ابن ودي أخلقت ظرفه الرياسة بعدي

فأجابه البارع بقصيدة أولها :

وصلت رقعة الشريف أبي يعـــلى فقامت مقام لقياه عندي

الباب الرابع : رسالة للصابي كتبها عن الوزير محمد بن بقية إلى القاضي أبي بكر ابن قريعة يعزيه عن ثور نفق فأظهر عليه الجزع وجلس للعزاء على سبيل الهزء ، وجواب القاضي ابن قريعة :

الباب الخامس : قصيدة لأبي أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي كتبها إلى القاضي التنوخي أولها :

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوق يفوت الوصف أيسر حده

فأجابه القاضي التنوخي بقصيدة أولها :

نفسي فداؤك والورى من بعده جودت سيف صبابتي من غمده

الباب السادس : رسالة كتبها قابوس بن وشمكير الى الصاحب بن عباد وجواب الصاحب .

الباب السابع : قصيدة كتبها أبو القاسم بن الطحان إلى أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الكيزاني أولها :

أيها العالم الذي فاق في العـــلم على زعمه شيوخ الزمان

فأجاب الكيزاني بقصيدة أولها :

من عذيري من الغوي المانى منكر الحق جاحد الفرقان

الباب الثامن : رسالة للصابي كتبها إلى الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي وقد توجه إلى عمان وجوابها .

الباب التاسع : قصيدة كتبها أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي الى الصاحب بن عباد أولها :

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

إذا الغيوم ارجحنّ باشقها　　　وحفّ أرجاءها بوارقها

فأجابه الصاحب بقصيدة أولها :

بدت عذارى مدت سرادقها　　　وأقسم الحسن لا يفارقها

الباب العاشر : خطاب من داعي الدعاة أبي نصر هبة الله إلى أبي العلاء المعري وجوابه ·

* * *

وقد ورد في آخر الجزء الثاني ما نسخته :

«تم كتاب جمهرة الإسلام

ذات النثر والنظام بحمد الله وعونه

تأليف مسلم بن محمود بن نعمة بن أرصلان الشيزري

وكان الفراغ من نسخه في نهار السبت الثالث والعشرين من شوال

من شهور سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة الطاهرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

والكتاب على حسن خطه فيه كثير من التصحيف والغلط يحتاج تحقيق نصوصه الى جهد ودقة وروية ·

خليل مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطلحات الاجتماعيات النباتية

كان في الدولة السورية ، في سنوات الانتداب الأخيرة ، مستشار في وزارة الزراعة اسمه دلبس Delbes انتقل بعد جلاء الفرنسيين عن ديار الشام الى إحدى مؤسسات الأمم المتحدة . وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على علم النبات ، وكان عنده مَعْشَبة أي مجموعة من النبات كبيرة جمعها من أقطار الشرق الأدنى ، ولا سيما من الشام .

وفي أحد الأيام زارني وأهدى اليَّ رسالة بالفرنسية نُسخت على الآلة الكاتبة ، واشتملت على جملةٍ من مصطلحات علم الاجتماع النباتي معرفةٍ تعريفاً علمياً موجزاً ، ومرتبة على حروف المعجم . وقد أطلق عليها اسم : معجم صغير لأهم الفاظ الاجتماعيات النباتية :

Vocabulaire des principaux termes
de Sociologie Végétale
« Phytosociologie »

ويغلب على ظني أن المشار اليه هو الذي ألف هذه الرسالة أو هذا المعجم الصغير لمؤسسة الأمم المتحدة التي كان يعمل فيها مستشاراً أو خبيرا .

وكنتُ أنعمتُ النظر في هذه الألفاظ وفي تعريفاتها ، ونقلتها الى العربية ، وضمَّنت الطبعة الثانية من «معجم الألفاظ الزراعية» عدداً منها [1] . وقد رأت لجنة مجلة مجمعنا فائدة في نشرها كلها أو في نشر جلها في المجلة لكي يطلع عليها أساتيذ النبات في جامعات الأقطار العربية وفي مدارسها الزراعية العالية .

---

(١) ورد أيضاً ذكر لبعضها في مقالي الذي عنوانه «جلة من المصطلحات النباتية» والمنشور في المجلد السادس والعشرين (سنة ١٩٥١) من هذه المجلة .

ومن المعلوم أن الألفاظ العربية الموضوعة هي الراجحة في نظري ، ولكنها لا تُعتبر ألفاظاً قد استقر الرأي عليها نهائياً ، فربما أدى فرط التقصي الى أن نبدل ببعضها ما هو أصلح منه .

ولقد حاولت عدم التصرف في التعريفات إلا قليلا . ومن الواضح أن تعريف مثل هذه الألفاظ العلمية يختلف في الطول والقصر والتركيز والتمثيل . وقد جاءت التعريفات في هذه الرسالة مركزة ومقتضبة لأنها وضعت لأساتذة النبات لا لجمهرة القراء :

Abondance وَفْرة . غَزَارة . — تقدير العدد النسبي لأفراد كل نوع نباتي بالنسبة الى جميع الأفراد التي تشتمل عليها مجموعة من النبات .

Acaule لاساقيّ . — نبات ليس له ساق ظاهرة ، أو له ساق صغيرة جداً حتى لكأن الأوراق قد وُلدت من الجذر .

Accessoires « Plantes » نباتات تابعة أو ثانوية . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الأطراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Accidentelles « Plantes » نباتات طارئة . — النباتات التي يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الأطراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Alliance رابطة . — وحدة عالية في الاجتماعيات النباتية ، وهي جملة المجموعات النباتية التي لها تركيب نباتي متماثل ، وفيها عدد من الأنواع النباتية المشتركة .

Anémophiles « Plantes » نباتات رِيحِيّةُ التلقيح أو الإلقاح . — النباتات التي تنثر الريحُ حبوبَ لقاحها فتلقح البُيَيضة « البُذَيرة » في مدقة الزهرة .

« Antarctique « Région منطقة جنوبية . — منطقة نباتية تقع جنوبيّ الدرجة السادسة والأربعين .

Anthèse تمام التزهير أو التنوير . — الوقت الذي تنمو وتتفتح فيه جميع أجزاء الزهرة .

« Anthropophiles « Plantes نباتات أَلِيفة الإنسان . — الأنواع النباتية التي أثر فيها الإنسان بنفسه أو بغيره . والنباتات أوالف الإنسان في منطقة مّا هي الأنواع التي نقلها الإنسان الى تلك المنطقة .

« Aridité « indice d' دليل القُحُولة . — صيغة تستعمل في الجغرافية النباتية لوضع الخرائط الإقليمية :

$$ق = \frac{م}{١٠ \times ح}$$

ق = قحولة

م = المطر المتوسط السنوي

ح = الحرارة المتوسطة اليومية

Association مَجْمُوعة . — جماعة من النبات لها مفهومٌ نباتي معين ، وهو أن تكون مؤلفة من نباتات معلومة وثابتة .

« Basiphiles « Plantes نباتات أليفة القواعد . — تسمى أيضاً عدوة الكلس Calcifuges فراجعها .

« Biologique « Spectre طَيف أحْيائي أو بِيُولُوجي . — تمثيل بياني للنباتات وفقاً لتصنيفها البيولوجي ، وعلى حسب النسبة المئوية التي توجد في جماعة نباتية أو في منطقة معينة .

وفي تعبير « الطيف النباتي » الذي عرّفه رُنْكِر Raunklaer سنة ١٩٠٥ تُصنف النباتات خمس فئات أساسية وهي : النباتات البارزة Phanérophytes ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنباتات اللاطئة Chaméphytes ، والنباتات نصف الخفية Hémicryptophytes ، والنباتات الأرضية Géophytes ، والنباتات البزرية Thérophytes (راجع هذه الكلمات) .

Biotiques « Facteurs » عوامل حَيَوِيَّة أو أحيائية . — العوامل التي يتعرض لها النبات فتؤثر في حياته (كالتكافل ، والتطفل ، والتنازع بين الأنواع ، والتجمع في مجموعات) .

Calcicoles « Plantes » نباتات أليفة الكلس . نباتات كلسية . — النباتات التي تستطيع النمو في أتربة مقدار الكلس فيها كبير .

Calcifuges « Plantes » نباتات عدوة الكلس . نباتات لا كلسية . — النباتات التي لا تستطيع النمو إلا في أتربة كلسها قليل .

Caractéristiques « Plantes » نباتات مُتَمَيِّزة . صيغة تستعمل في تعيين نوع الألفة Fidélité «انظر هذه الكلمة» . والنباتات المتميزة ثلاثة أشكال : مانعة أو محصرة Exclusives ، ومُنتقية Électives ، ومُرَجِّحة Préférantes « انظر الفرنسيات » .

Chamephytes « Plantes » نباتات لاطِئة — . نباتات تكون براعمها الهوائية على أقل من ٢٥ سنتيمتراً فوق سطح الأرض .

Cheiroptérophiles « Plantes » نباتات خُفّاشية التلقيح . — نباتات يزور الخفاش أزهارها فيسهل تلقيحها .

Chionohpiles « Plantes » نباتات ثلجية . — نباتات تتحمل البرد وتستطيع النمو تحت طبقة غليظة من الثلج .

Chorologie علم الكُوَر . كُوَرِيَّات . — شعبة من علم الاجتماع النباتي تشمل جميع المعلومات المتعلقة بالموقع الجغرافي للمتعضيات، وبتجمعات هذه المتعضيات[1] .

(١) الكُوَر جمع كورة العربية أو قل المعربة قديماً . والفرنسية من اليونانية بمعنى علم الكور أو الأقطار أو الأصقاع .

Climax قِمّة . أَوْج . — منتهى ما تبلغه المجموعات النباتية في تطورها المترقي . وهو التجمع الإقليمي النهائي .

وتُدْرَك القمة «أو الأوج» عندما تكون التربة والنباتات التي تغطيها قد بلغت حالة التوازن مع الإقليم .

« Compagnes « Plantes نباتات مرافقة . — درجة من درجات الألفة Fidélité فراجعها .

Constance إطّراد . — وجود أفراد من النبات ، وجوداً منتظماً ، في بيان مجموعة نباتية . وفي صيغة الاطراد هذه تُصنَّف نباتات المجموعة ثلاثة أصناف : مُطَّرِدة Constantes ، وتابعة Accessoires ، وطارئة Accidentelles (انظر الكلمات الفرنسية) .

« Constantes « Plantes نباتات مُطَّرِدة . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن خمسين في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة (انظر Constance) .

« Cryptophytes « Plantes نباتات خَفِيّة . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية في التراب . وهي ثلاثة أشكال : نباتات أرضية Géophytes ، ونباتات مَنْقَعِيّة أي نباتات المناقع Hélophytes ، ونباتات مائية Hydrophytes . (انظر الفرنسيات) .

Dispersion تَبَدُّد . تَبْديد . — صيغة في علم الاجتماع النباتي تستعمل في بيان تَوَزُّع الأنواع النباتية . ومن حيث الإحصاء يكون التبدد نظامياً أو قل كفائياً ، عندما يكون التوزع موافقاً لقوانين الاحتماليّات ؛ ويكون التبدد تحت الكفاء عندما يكون التوزع أكثر انتظاماً ، كما في الكروم وبساتين الفواكه ؛ ويكون التبدد فوق الكفاء في الحالة المخالفة .

Dominance غَـلَبَة . تَغَلُّب . — تقدير المساحة التي تشغلها نباتات من نوع واحد بالنسبة الى المساحة التي تشغلها أفراد النباتات جميعا .

Écologie علم البيئة . بيئيّات . — دراسة الحياة الاجتماعية للكائنات الحية ، وتحليل تجمعاتها التي حصلت بتأثير العوامل الطبيعية والاقليمية فيها ، وعلى حسب تطورات تلك الكائنات في العصور السالفة .

Ectodynamomorphes «Sols» تُرَب خارجية التكوّن أو التشكّل . — الأتربة التي يكون تكونها تابعاً على الأخص للاقليم وللنباتات المرتبطة به . وهي التُرَب «الناضجة» التي تكون في مناطق النبات الاقليمية .

Édaphiques « Facteurs » عوامل ترابيّة . — عوامل مؤثرة في كيان النباتات ، تُعزى الى طبيعة التربة والى المؤثرات الفيزياوية — الكيمياوية .

Électives « Plantes » نباتات مُنتَقية . — نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر الفرنسية) تقيم خاصة في جماعة نباتية معينة ، ولكنها تشاهَد أيضاً في جماعات أخرى .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité (راجع الفرنسية) .

Endémiques « Plantes » نباتات مُتَوَطِّنة أو مُستَوطِنة . — نباتات أو مجموعات من النبات تنمو في منطقة معينة .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تعيين منابت الأنواع النباتية .

Endodynamomorphes «Sols» تُرَب داخلية التكوّن أو التشكّل . — الأتربة التي تتكون من تفتت الصخرة الأم خاصة . فالصحاري ، والتُرَب المتجمدة ، وترب الجبال العالية التي نباتاتها قليلة ، كلها تعد داخلية التشكل .

Entomophiles « Plantes » نباتات حشَرِيَّة التلقيح . — النباتات التي يكون تلقيحها وفقاً على حشرات تحمل اللقاح الى سمات الزهر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Epiphytes « Plantes » نباتات مُعايِشة أو مُلازمة . — النباتات التي تعيش على جذع الشجر وفروعه ، من دون أن يكون لها أعضاء خاصة تُنشِبها في أنساج الشجر الحية .

Étages de végétation طَبَقات النبات . — مُستَطيلات أو نُطُق من النبات من انواع مختلفة ، كلما ارتقى المرء في الجبال يرى بعضها فوق بعض .

Étrangères « Plantes » نباتات غريبة . — أنواع من النبات لا تظهر إلا عفواً في جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

Exclusives « Plantes » نباتات مانعة أو مُنحصِرة . — الأنواع النباتية التي تكاد تنحصر علاقتها بجماعة من النبات معينة (من اصطلاحات تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

والنباتات المنحصرة جزء من النباتات المتميزة Caractéristiques فراجعها .

Facies végétal هَيئة نباتية . — المنظر العام لنبات منطقة بعينها .

Fidélité ألفة . — اصطلاح يستعمل لتصنيف الأنواع في بيانات « كشوف » الاجتماعيات النباتية .

ويجعلون الألفة على خمس درجات : (١) النباتات المُنحصِرة أو المانعة Plantes exclusives ،(٢) والمُنتَقِية Électives ،(٣) والمُرجِّحة Préférantes ، (ونباتات هذه الدرجات الثلاث تسمى المتميزة Caractéristiques) ،(٤) واللامُبالِية Indifférentes ، أو قل المرافقة Compagnes ، (٥) والطارئة Accidentelles ، أو قل الأجنبية Étrangères (انظر الفرنسيات) .

Fréquence تَواتُر . تَرَدُّد . — النسبة المئوية لنوع نباتي معين في بيانات الاجتماعيات النباتية .

Géophytes « Plantes » نباتات أرضية . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في الأرض .

Halophiles « Plantes » نباتات مِلحية أو أوالف الملح . — الأنواع التي تعيش في أتربة كثيرة الملح أي كلورور الصوديوم . وتكثر منابت النباتات الملحية في شواطئ البحار والبحيرات المالحة وفي المناطق الصحراوية « نصف القاحلة » .

Halophytes نباتات مِلحية . — اسم يطلق على أوالف الملح من النبات (وهي النباتات السابق ذكرها) .

Hékistothermes « Végétaux » نباتات الصُّرود . — أنواع من النبات تنبت في درجة من الحرارة تحت الصفر .

Héliophiles « Plantes » نباتات شمسية . — أنواع نباتية لا تبلغ تمام نموها إلا كانت أشعة الشمس تقع عليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Hélophytes « Plantes » نباتات المناقع . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في حمأ المناقع .

Hémicryptophytes « Plantes » نباتات نصف خفية . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية على سطح التربة أو تحت سطحها قليلاً ، وتكون تلك الأعضاء مصونة بحراشف أو بحطام من الورق .

Holarctique « Région » المنطقة الشمالية الكاملة . — أصقاع شمالية متصلة تمتد في العالم القديم والعالم الجديد ، فهي في أوربة ما يقع شماليّ البحر الأبيض المتوسط ، وفي آسية ما يقع في سيبرية وفي الصين الشمالية ، وفي أميركة ما يقع في القسم الشمالي من الولايات المتحدة وفي كندة .

Hydrophytes «Plantes» نباتات مائية . — النباتات الخفية Cryptophytes (راجع هذه الكلمة) التي تكون أعضاؤها التناسلية في الماء .

« Plantes » Hygrophytes نباتات الرُّطوبة · نباتات البيئات الرطبة · — النباتات التي تكيَّفت للعيش في الأقاليم أو الأتربة الرطبة ·

« Plantes » Indifférentes نباتات لا مُبالِية · — النباتات المرافقة Compagnes (راجعها) التي تنمو كثيراً أو قليلاً في جملة جماعات نباتية · ويُستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة أي Fidélité فراجعها ·

Landes نبات البَرَاح · — النباتات التي تنمو في الأتربة الحامضة بعد إبادة الحراج ، أو في الأراضي الزراعية التي بُورت لنفاد خصبها[1] ·

« Plantes » Malacophiles رِخْوِيَّةُ التلقيح · — النباتات التي تقوم فيها بعمل التلقيح حيواناتٌ من الرِّخويات المعدَّيات الأرجل ·

Maquis غَيْطَلة[2] · — تطلق الفرنسية على الحَرَجة المنحطة في التربة الرملية ، حيث قام مقام أشجارها المتميزة ، كالبهش أي بلوط الفلين مثلاً ، أنواعٌ مختلفة من الجنبة تألفت منها أعياص Broussailles كثيراً ماتكون ملتفة ·

« Végétaux » Mégathermes نباتات الجُرُوم · نباتات الحرّ · — النباتات التي تحتاج دائماً الى حرارة تزيد على عشرين درجة مئوية ·

Mésologie ميزُولُوجية · — جزء من البيولوجية النباتية يبحث في العلاقات بين المتعضيات النباتية والبيئة التي تعيش فيها[3] ·

« Plantes » Mésophytes نباتات الرطوبة المعتدلة · — نباتات لا تستطيع العيش إلا في أقاليم معتدلة لا كثيرة اليبوسة ، ولا كثيرة الرطوبة · وهي فئة من النبات لا يمكن في التصنيف جعلها في جملة نباتات البيئات الرطبة ، ولا في جملة نباتات الصحراء ·

(١) تطلق الفرنسية على تلك الأشكال من الأرضين، وعلى نباتاتها. والبراح اصطلاح من وضعي.
(٢) الغيطلة اصطلاح من وضعي ·
(٣) كثيراً ما تستعمل الفرنسية مرادفةً لعلم البيئة Écologie ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

Mésothermes « Plantes » نباتات الحرارة المعتدلة . — نباتات تألف درجة حرارة متوسطة مقدارها ١٥ درجة مئوية .

Messicoles «Plantes ou Associations» نباتات أو مجموعات زَرْعِيَّة . — نباتات أو مجموعات من النباتات الطارئة تنمو مع الزرع في الحقول (وتسمى أوالف الزرع) .

Microclimat إقليم صغير . — إقليم خاص ببقعة أو بمنطقة معينة . والإقليم الصغير عامل مؤثر في حياة النبات الذي ينمو تحت شجر الغابات . فالإقليم الصغير لحرجة من الصنوبر مثلاً غير الإقليم الصغير لحرجة من البلوط .

Microflore نباتات دقيقة . — النباتات المكروبية في التربة ، وهي البكتريات الهوائية واللاهوائية .

Microthermes « Végétaux » نباتات البَرْد أو القُرّ . — نباتات تنمو بدءاً من درجة الصفر المئوية .

Nitratophiles « Plantes » نباتات نترانية أو أليفة النترات . — نباتات تعيش في الزبل المتخمّر وفي النفايات التي تكون غالباً على مقربة من البيوت . وهذه النباتات إذا أحرقت يكون في رمادها مقدار كبير من أملاح البوطاس ، ولذا سميت أليفة النترات .

Ordre رُتبة . — وحدة عليا في الاجتماعيات النباتية . وهي جملة من الرابطات Alliances (انظر هذه الكلمة) تميزت بعدد من الأنواع النباتية المشتركة .

Ornithophiles « Plantes » نباتات طَيْرِيّة التلقيح . — النباتات التي تزور الطير أزهارها فتسهل تلقيحها .

Orophytes « Plantes » نباتات القنان أو الضُهُور أو الأعلام . — النباتات التي تنبت على قنة الجبال الشاهقة أو في الأماكن الكبيرة الارتفاع .

Pédologie علم التراب . تُرابيّات . — جزء من علم التربة Science du sol تُدرس فيه الأمور الآتية :

(١) التربة في مكانها : الآفاق المتتابعة للتربة ، وبنيتها ولونها وشكلها ونباتها .

(٢) التربة في نماذج : تركيب التربة الفيزياوي والكيمياوي والمعدني ، ونشوء التربة من الصخرة الأم (الأصلية) ، وتصنيفها النشوئي ، وما حصل فيها من تبدلات جعلت لها صفات خاصة بتأثير عوامل الجيولوجية وفيزياء الأرض ونظم الأمطار والحرارة .

Périodicité دَوْرِيَّة . — مدة تَمَثُّل الأنواع النباتية . وهذه المدة تمكننا من تقدير تزاحم الأنواع في دورة نباتية .

PH (ت ١٠ .) أو PH . — رمز تفاعل التربة (القلوية — الحمضية) . ويرتكز هذا التفاعل على التوازن الذي يحصل بين كمية يونات[1] H ويونات OH . ويكون لكل مجموعة نباتية PH معين .

« Phanérophytes « Plantes نباتات بارزة . — نباتات شُجَيرية أو جَنْبِيَّة[2] تكون أعضاؤها الناجية (أي براعمها) في رؤوس نوامٍ تعلو أكثر من ٢٥ سنتيمتراً فوق الأرض .

« Phénologie « Phénoménologie علم الظواهر . ظاهِرِيَّات . — دراسة الظواهر البارزة في حياة أحد النباتات (تفتح البراعم ، الإيراق ، الإزهار ، نضج الثمر الخ) .

Photométrie végétale قياس الضوء النباتي . — دراسة شدة الضوء وقياسها وتأثيرها في نمو النباتات .

Phytogéographie جغرافية نباتية . — جغرافية النباتات ودراسة توزُّعها على سطح الكرة الأرضية .

Phytoplankton نباتات مَغْمُورة أو مُعَلَّقة . — جماع المتعضيات النباتية التي تعيش معلقةً في المياه الحلوة أو المالحة[3] « لا طافية ولا راسبة » .

(١) اليونة تعريب ion ويسميها بعضهم الشاردة .
(٢) نسبةً الى جَنْبَة أي Arbuste .
(٣) في الأصل : التي تعيش على سطح المياه الحلوة أو المالحة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتكون غالباً أشنة (Algues وتسمى الطحالب في مصر) خيطية أو مجهرية .

Phytosociologie علم الاجتماع النباتي . اجتماعيّات نباتية . — دراسة المجموعات النباتية (راجع هذا الاسم) . والقوانين التي تنظّم اجتماع الأنواع في مجموعات .

« Associations » Planktoniques مجموعات مُعلَّقة . — مجموعات النباتات المنسوبة الى النباتات المعلقة أو المغمورة .

« Analyse » Pollinique تحليل لَقاحيّ . — طريقة تُعيَّن بها النسبة المئوية لحبات اللقاح ، في المستويات المختلفة من المخثّات (المطرَبات Tourbières) . وهذا التحليل اللقاحي يسهل الكشف عن تأريخ النبت في العصور الجيولوجية الغابرة .

Pozdol بُزْدُول . — (معربة) يطلق هذا الاسم على أتربة ضاربة الى بياض تقوم عليها حراج روسية الشمالية وسيبرية . والبزدولات أو قل التُرَب الرمادية مختصة بالأحراج .

« Plantes » Préférantes نباتات مُرَجِّحة . — هي نباتات مُتميّزة Caractéristiques (انظر هذه الكلمة) تكثر كثرة كبيرة أو صغيرة في جملة مجتمعات نباتية ، ولكنها ترجح منها مجتمعاً معيناً أي جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

Profil جانبيّة [1] . — طريقة تصوير نَهجي لمقطع من الأرض ؛ وهو يوضح وجود التوازي بين التبدلات التي تحصل في النباتات والتبدلات التي تحصل في العامل السائد .

« Séries » Progressives مُتَسلسلات مُتَرقّية . — متسلسلاتُ مجموعاتٍ نباتية تسير في اتجاه القمة « أي الأوج Climax » .

(١) الجانبية عن معجم اللغة العربية ج ٤ ، وكذلك النهج بمعنى Schéma .

« Séries » Regressives متسلسلات متدنية . — متسلسلات مجموعات نباتية تبتعد عن القمة .

Relevé Phytosociologique بيانُ الاجتماع النباتي . بيانٌ « أو كشفٌ » اجتماعيٌ نباتي . — العمل الرامي الى بيان جميع الأنواع النباتية التي تعيش في مكان معين وفي مساحة معينة ، والى تصنيف تلك الأنواع على حسب خصائصها الاجتماعية (الحيوية والكثافة والتغلب والوفرة والتواتر والألفة والاطراد وقابلية الاجتماع « انظر هذه الكلمات ») .

« Plantes » Rudérales نباتات الدِّمن . خَضْراء الدمن . — النباتات التي ترجح العيش في الدمن على مقربة من المساكن .

« Plantes » Saprophytes نباتات رِمّيّة . — النباتات التي تعيش على المتعضيات النباتية البالية ، وهي ترتبط بها بخيوط من الأمشاج الفطرية غالبا .

Savane سَوَانة (١) . — يطلق هذا الاسم على المروج البرية الواسعة التي تتاخم منطقة الأحراج الاستوائية .

Savart ساوار (٢) . — أرضون لا تزرع تُتّخذ مراعيَ . والنباتات المختصة بالساوارات تنبت غالباً في أتربة كلسية .

« Plantes » Saxicoles نباتات صَخْرِيّة . نباتات الصخور . — النباتات التي تعيش على الصخور ، وتكاد تكون كلها من الأشنة والطحلب والحزاز .

« Plantes » Sciaphiles نباتات ظِلّيّة . نباتات الظل . — النباتات التي تعيش في الظل أو في ضوء شمسي ضعيف .

« Plantes » Sclérophylles نباتات صُلْبة الوَرَق . — نباتات أوراقها غليظة قاسية . وهذه النباتات يكون لها ضغط تناضحي يكاد يكون ثابتا .

---

(١) اسم يطلق على تلك المروج في الأنتيل وغيانة ، وقد اقتبسته الفرنسية من الاسبانية وعربناه .

(٢) يطلق هذا الاسم في شمبانية من أعمال فرنسة على الأراضي الطباشيرية الفقيرة وقد عربناه .

Sociabilité قابلية الاجتماع . اجتماعيّة . — الشكل الذي تتجمع فيه أفراد كل نوع نباتي . وتُصنّف النباتات خمسة أصناف بموجب مدلول قابلية الاجتماع وهي :

(١) النباتات المنفردة	Plantes isolées
(٢) النباتات المتجمعة فِرَقاً	〃 en groupes
(٣) 〃 〃 قِطَعاً	〃 en troupes
(٤) 〃 〃 مستعمرات صغيرة	〃 en petites colonies
(٥) 〃 〃 عمارات	〃 en peuplements

Stade de végétation طَوْرُ النبات . — كل مرحلة متميزة من مراحل تعاقب المجموعات النباتية .

Steppe سَهْب . — اسم يطلق على المروج الواسعة في روسية الجنوبية . وتكون النجيليات أهم نباتات السُّهوب .

Stratification تَطَبُّق . تَنَضُّد . — تصنيف بدائي للنباتات تُقسم فيه أقساماً أربعة :

الطبقة الشَّجَرية	Strate arborescente
〃 الجَنْبِيّة [1]	〃 arbustive
〃 العشبية	〃 herbacée
〃 الطحلبية « الحزازية في مصر »	〃 muscinale

Succession تَعاقُب . — تعبير يطلق على جميع التبدلات التي تنتهي الى حلول عمارة نباتية مكان عمارة أخرى في صقع معين .

Thérophytes « Plantes » نباتات بِزْرِيّة . — نباتات عشبية حولية تستأنف الحياة ببزورها .

(١) نسبةً الى الجَنْبة Arbuste .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« Topographiques « Facteurs عوامل طُبُغْرافيَّة . — الشروط الطبغرافية التي تؤثر في حياة النباتات وفي توزيعها (ارتفاع الارض وميلها ومعرضها ومياهها) .

Toundras تَنْدَرة . — (معربة) اسم يطلق على مروج في المنطقة القطبية يعيش نباتها في تراب يصاب بالصقيع في معظم أيام السنة .

« Tropophiles « Forêts أحراج المناطق المعتدلة . — يطلق هذا الاسم على أحراج تعيش في المناطق المعتدلة الحرارة ، وتتألف من أشجار أوراقها مُعْبِلَة .

« Tropophytes « Plantes نباتات مُتَحَمِّلَة . — أنواع نباتية تكيفت لتعيش في بيئة تتعاقب فيها فصول كثيرة اليبوسة وفصول كثيرة الرطوبة . وهي تعد من « نباتات الصحراء » ومن « نباتات الرطوبة » على السواء .

Vitalité . — لفظ يدل على درجة النمو والنضاضة التي تبلغها الأنواع المختلفة في مجموعة نباتية . فعندما تتوفر لأحد الأنواع أصلح شروط البيئة تبلغ وظائفه الحيوية أقصى نشاطها وتصبح دورته التطورية على أتمها .

« Xérophytes « Plantes نباتات صَحْراوِيَّة . نباتات الصحراء . — النباتات التي ألفت الأقاليم اليابسة .

« Xérothermiques « Associations مجموعات صَحْراوِيَّة حَرارِيَّة . — جماعات نباتية تعيش في مناطق قاحلة كثيراً أو قليلاً ، شمسها تسطع في مدة تكاد تكون طويلة .

Zonation تَمَنْطُق[1] توزُّع مِنْطَقِي . — توزُّع النبات في مناطق بين القطبين وخط الاستواء . ويحصل هذا التوزُّع لاختلاف الحرارة على حسب خطوط العرض .

مصطفى الشهابي

(١) ليس للتمنطق هذا المعنى في كتب اللغة . ومن المفيد إقراره .

ضوء جديد على دانتي والإسلام (١)

أربع وثلاثون سنة قد انقضت منذ أن عُرض، على الاكاديمية الاسبانية، كتاب تقدم به عند انتمائه للاكاديمية (Discorso de recepcion)، المستشرق المختص بالدراسات العربية المدعو «ميجويل آسين بلاسيوس»، وكان في شرخ شبابه آنذاك. ولا أزال أذكر الى الآن الاثر الذي تركته في نفس والدي قراءة الكتاب المذكور المسمى «فكرة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية»-Escatologia musulmana en la Divina Comedia- وهو أثر امتزج فيه الإعجاب بالدهشة، وكاد يبلغ حد النزع بالرغم من أن والدي كان من أوائل الذين قاموا بنشر آراء آسين في إيطاليا؛ ذلك أن الطرافة والجرأة واتساع الأفق التي اتسم بها افتراض آسين، والنتائج التي توصل اليها، أحدثت وقعاً شديداً. ولا أزال أحمل في ذهني ذكريات غير مكتملة الوضوح عن الأصوات المتنافرة التي ارتفعت في نقد المستشرق الشاب، وفي نقد دانتي في جو الحماس المحموم الذي تميزت به احتفالات عام ١٩٢١ بمرور ستمائة سنة على وفاة دانتي، كما اني أحمل ذكريات مبهمة عن حماس المؤمنين بنظرية آسين، وخيبة الأمل المريرة التي مني بها مقدسو دانتي، والأصداء العميقة المتلازمة لكل من التأييد والاستنكار؛ هذه المشاعر جميعها أثارها كتاب آسين مما لم يسبق اليه أي سفر آخر طيلة مائة عام. ثم ما لبثت أن طغت في كل مكان أصوات المعارضين الذين لم يؤمنوا بنظرية آسين ممن اعتقدوا في ذلك على الحجة أو المنطق أو من الذين آمنوا في أول الأمر

(١) بحث للمستشرق الإيطالي «فرانسكو غابريلي» ترجمه الأستاذ موسى الخوري.

ثم أخذ إيمانهم يضعف ويهن ، وكان في عدادهم والدي . وقد رد عليهم آسين في كتابه « تاريخ معضلة ونقدها » ـ Historia y critica de una polemica ـ ببراهين حية مقنعة ، وشيجة الاتصال بموضوع الجدل . ثم ما عتمت حدة الجدل أن خفت وانتهى الأمر ، كعادة الأمور في مثل هذه الحال ، بأن خلف النزاع وراءه عدداً من المسائل يحيط بها سوء التفاهم وعدم الوضوح .

إلا أن التحامل المبدئي على العالم « الإسلامي العربي » الغريب البعيد في لغته وتقاليده ومكانه وحضارته ظل قائماً لا يقهر . وكان آسين يعتقد اعتقاداً راسخاً أن معارضة آرائه ، ولا سيما من قبل الإيطاليين ـ وهذا أمر كان مطابقاً للحقيقة فعلاً ـ لم يكن الباعث الوحيد عليها التبلد الذهني ، أو الفزع من رأي مستجد ، أو التصلب الفكري أمام الحقيقة المرة يُكتشَفُ عنها لأول مرة ، وإنما كان بالإضافة الى ذلك كله التعصب الثقافي القومي ، والانصراف التام الكلي للدفاع بأي ثمن عن مجد قومي امتدت اليه يد الانتقاص والتجريح بعد أن ظلت أصالته وعظمته لا يرقى اليها شك أو نقد حتى ذلك الحين . وقد بذل آسين عناية شديدة في نهاية كتابه ليؤكد بأن مجد دانتي الشعري لم تكن لتنتقص من قدره تلك الصلة الوشيجة المستمرة التي آمن هو أنه اكتشف وجودها بين الصورة التي قدمها دانتي عن العالم الآخر وبين فكرة المعراج وفلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، وأردف قائلاً ان اعتزاز الإيطاليين بالاصالة المطلقة لقصيدتهم المقدسة وما انتاب هذا الاعتزاز نتيجة لنظريته إنما هو الذي أوحى برد الفعل الايطالي أكثر من أي دافع آخر سواه .

فاذا كان هناك والحالة هذه من يعتبر العصبية القومية الايطالية العقبة الأساسية التي حالت دون قبول افتراض آسين ، فعلى مثل هذا أن يدرك أن الفكرة الايطالية في فلسفة النقد والجمال ، هذه الفكرة التي ذاع صيتها في سائر أنحاء أوربة ، هي التي تأبى علينا ، نحن معاشر الايطاليين ، أن نقابل بالفتور مشكلة

لا تمت بصلة الى سمو فن دانتي وصنعته الشعرية الفذة ، حتى لو كان دانتي مديناً لابن عربي بكل ما اعتقد آسين أنه مدين له به (وسنرى فيما بعد أن تنبؤات آسين قد ثبتت صحتها في اتجاه آخر) ، فلا ينبغي لنا نحن الإيطاليين من عشاق الشعر أن يخطر ببالنا قط أنه قد ينشأ عن هذا أي انتقاص ، مهما ضؤل ، لعظمة دانتي في الناحية التي وهبنا إياها على وجه ليس له بديل أو مثيل ، ألا وهي الناحية الشعرية . فدانتي الشاعر لا يرقى اليه لوم أو تجريح ، وقصيدته قد تقبل النقد إلا من وجهة النظر الفنية الجمالية ؛ والمستشرق الاسباني العظيم كان في مقدمة من أدركوا هذه الحقيقة البسيطة وأعلنوها . والواقع أن أخطر الانتقادات التي وُجهت الى كتاب آسين كانت تتصل بمناح أخرى غير هذه التي ما كانت لتعتبر وجهة نظر شرعية محقة ، وعلى هذا الأساس وحده نشأت أخطر الشكوك بصدد افتراضات المؤلف . فهل كان دانتي يعرف من اللغة العربية ما يؤهله للاطلاع على المواد التي استطاع آسين الجائنة العالم أن يبرزها للمقارنة بقصيدته ؟ وهل كان في الحقيقة أكثر اطلاعاً من عامة معاصريه على شؤون العالم العربي الإسلامي ؟ وكيف تيسر له الاطلاع على انتاج ابن عربي أو أبي العلاء المعري وكلاهما يتصف بالغموض والإبهام ؟ وأي دليل على أن مؤلفات هذين الكاتبين أو أي انتاج عربي آخر يبحث في فلسفة الحشر والنشر قد ترجم الى لغات غربية ؟ ان هذه جميعها مشكلات تقع في مجال أبحاث التاريخ الثقافي ، ويجب علينا حلها إذا أردنا إثبات أسباب التشابه بين فلسفة الحشر الإسلامية وفكرة الحشر عند دانتي كما أوردها آسين . وقد أجاب عنها آسين بقوله إنه ليس من البعيد أن يكون دانتي قد ألم بقليل من اللغة العربية (ولكن الأمر كما نعلم نحن المستشرقين حق العلم يقتضي أكثر من مجرد الإلمام بقليل من العربية لفهم مؤلفات أبي العلاء وابن عربي المعقدة !) ، وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الاسلامي والثقافة الإسلامية في إنتاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دانتي ، ابن فلورنسة البكر ، وكذلك نوه آسين باحتمال لم يتمكن من دعمه بالوثائق وهو أن يكون «أليقيري دانتي» قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني Brunetto Latini عند عودته الى مقاطعة توسكاني بايطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك اسبانيا في عام ١٢٦٠ م ، وقد كانت هذه النقطة الأخيرة بالذات ، أي الوسيلة التي انتقلت عن طريقها فكرة الإسلام عن العالم الآخر الى دانتي ، هي التي ظلت الى وقت قريب مشكلة مبهمة تؤلف الحلقة المفقودة في السلسلة التي أحكم رباطها آسين ، حلقة حلقة ، بنفاذ وتعمق لا مثيل لهما ، بين اسبانيا العربية - اليهودية - المسيحية في القرن الثالث عشر ، وايطاليا في القرن الرابع عشر .

لقد أصبح معروفاً الآن بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاماً على عرض المشكلة لأول مرة أن الحلقة المفقودة ، قد عثر عليها ، ذلك أن عالمين أحدهما اسباني والآخر ايطالي ، (وقد أمسك كل منهما بأحد طرفي السلسلة مستقلاً عن الآخر وغير عارف بجهوده حتى النهاية) ، نشرا خلال هذه السنوات النصين اللاتيني والفرنسي لكتاب اسباني عربي يدور حول فلسفة الحشر العربية الإسلامية . وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في ايطاليا في القرن الرابع عشر ؛ وهكذا تظهر لنا مشكلة دانتي والإسلام تحت ضوء جديد كل الجدة . وقد أسميت هذا الكتاب الفذ كتاب (المعراج أو كتاب معراج محمد) وفقاً للأسماء المتعددة التي عُرف بها باللاتينية والفرنسية القديمة والايطالية . وقد تم وضع الكتاب - كما كان متوقعاً بل محتوماً - في بلاط الفونسو بمدينة اشبيلية وبأمر الملك نفسه ، الذي دُعي بحق ملك الدينين أو الأديان الثلاثة ، والذي تصدق فيه هذه الصفة أكثر مما تصدق في جده ، فاتح طليطلة . وكان ابرهيم الفقين ،

الطبيب والعالم اليهودي المشهور بترجماته لمؤلفات ابن الهيثم والزرقاني ، قد نقل الى اللغة القشتالية ، قبل عام ١٢٦٤ بزمن غير طويل ، وبأمر من الملك نفسه ، النص الشائع لقصة المعراج أو رحلة محمد في أنحاء العالم الآخر . وعن ترجمة ابرهيم القشتالية هذه ، وهي ترجمة مفقودة ، أخذ الكاتب الايطالي بونا فنتورا من أهل سيينة نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيتين له ، ومخطوطة احداهما لا تزال محفوظة في اكسفورد ببريطانيا في حين حفظت مخطوطات الأخرى في باريس والفاتيكان . وقد نُشرت الترجمتان في آن واحد من قبل أنريكو شيرولي في ايطاليا ، وجوزيه مونوز سنديتو في اسبانيـا .

واذا استثنينا المقدمة الوجيزة التي كتبها بونا فنتورا سيينة شارحاً أصل الكتاب ومبرراً الغاية من وضعه فنحن نجد بين أيدينا في الحالتين ترجمة أمينة حرفيـة ، وفق أساليب الترجمة في ذلك العصر ، لمؤلف عربي في فلسفة الحشر والنشر ، وقد يكون أصل هذا المؤلَّف مفقوداً ، ولكنه كان ولا شك شائعاً جداً في اسبانيا في القرن الثالث عشر ، كما أنه لا بد أن يكون لهذا الأصل علاقة بالنصوص الأخرى الشئوية الخاصة بفلسفة الحشر التي نسخها أو لخصها آسين في كتابه . ولكنه يمتاز عليها جميعاً بتناسقه وشموله الكاملين ، وفي مقاطع منـه رونق أدبي قديم لا يخلو من قوة التأثير في النفس . أما القصة فهي معروفة : جبريل يوقظ محمداً من نومه في مكة ، ويأمره بامتطاء البراق ، ذلك الجواد المجنح الذي يحمله الى المسجد الأقصى ، ومن هناك يصعد الى السماء على درج ذهبي براق . ومن هنا أخذ اسم الكتاب الذي يتحدث عن أرجاء العالم الآخر . ويرى محمد (ﷺ) بعد ذلك ملك الموت ، ثم يرى ملكاً بشكل ديك ، وآخر نصفه من نار ونصفه من ثلج [1] ويجتاز سبع سماوات ، يلتقي في كل منها بنبي ،

(١) هذا لم يصحّ رواية ولا دراية . (لجنة المجلة)

حتى يمثل أخيراً أمام عرش الله ؛ ثم يزور الفردوس ويرى ما فيه من مباهج الطبيعة والمحبة ، ويتسلم من الله عز وجل القرآن الكريم وأوامر الصلاة اليومية والصوم [1] ، وتخفف هذه الأوامر فيما بعد استجابة لتوسلاته ، ومن ثم يرى جهنم ، ويطوف بأطباقها ودركاتها السبعة ، ويرى أنواع التعذيب فيها ، بينما يشرح له جبريل يوم القيامة والحساب على جسر الصراط . وعبثاً يحاول لدى عودته الى الأرض اقناع قريش بصدق رؤياه ، وقد دونها ، وشهد على صدقها كل من أبي بكر وابن عباس [2] بناء على طلبه . والصفات المميزة للمؤلف الأصلي محفوظة هنا بأمانة ، لا بنتيجة الأسلوب الأدبي لكتاب فحسب (هذا الأسلوب الذي على الرغم مما فيه من تشويه ، يأتي على ذكر عدد كبير من الأسماء والأماكن الواردة في الأصل العربي ، ويردد جملاً عربية كاملة في التسبيح والصلاة) ، بل لخلوه أيضاً من أي شرح أو إيضاحات دفاعاً عن الدين من وجهة النظر المسيحية ، وهكذا فاذا ما جرد النص من حلة اللغات ذات الأصل اللاتيني التي وُضع فيها ، فاننا نجد فيه العقيدة الإسلامية الشعبية في الموضوع محفوظةً بكل ما فيها من صراحة لا تخلو من بعض البساطة .

وهذا الكتاب الذي جعله الملك في متناول يد الغرب المسيحي (في ما لا يقل عن ثلاثة أسفار وربما في أكثر من هذا العدد ، بدافع من حب الاستطلاع الثقافي أكثر من الرغبة في الدفاع عن وجهة النظر المسيحية) ، انتشر بصورة فعالة وبطرق متعددة ؛ وبوسعنا أن نتتبع ما كان له من وقع في اسبانيا وفرنسا وايطاليا . وبناء على ما يؤيده شيرولي فان كتاب ابرهيم الفقين المترجم الى لغة قشتالة والذي لم يصل الينا هو المصدر الذي أخذ عنه « سان بيدرو باسكال » خلاصته

(١) إنما فُرض الصومُ في السنة الثانية من الهجرة ، فبينه وبين فريضة الصلاة خمس سنوات . (لجنة المجلة)

(٢) ولد عبد الله بن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة (أي عام الإسراء والمعراج) كما في « الإصابة » وغيرها . (لجنة المجلة)

الضافية عن رحلة محمد (ﷺ) الى العالم الآخر كما وردت في كتابه « Sobre La Seta Mahometana » الذي أشار اليه آسين وجعله مصدراً يحتمل أن يكون دانتي قد اعتمده . وعلى أساس المعلومات الدقيقة المتجمعة لدينا والحدس المعقول فان المخطوطات الثلاث المحفوظة لكتاب بونا ڤينتورا ، وجميعها من مطلع القرن الرابع عشر ، تحملنا الى مقاطعة بريتانية في شمالي فرنسا (المخطوطة اللاتينية المحفوظة بباريس) ، والى انكلترة (مخطوطة اكسفورد الفرنسية) ، والى بروڤنس (مخطوطة الفاتيكان اللاتينية) ، وتدلنا على أن كتاب المعراج (Liber Scalæ) مالبث أن شق طريقه الى ماوراء جبال البرانس . وأما فيما يتعلق باطلاع الايطاليين على هذا الكتاب فنحن إذا جعلنا تاريخ ترجمته عام ١٢٤٦ (وبذلك نكون قد تخلينا عن فكرة نقله على يد برونيتو لاتيني الذي سبقت سفارته لدى بلاط الفونسو التاريخ المذكور بأربع سنوات) فاننا نعثر على اقتباسين صريحين من قبل كاتبين ايطاليين ، أحدهما يلخص الكتاب تلخيصاً ضافياً مما يثبت أنه كان معروفاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وأواخر القرن الخامس عشر . ففي ذينك القرنين كانت كتابات راهب ابوليا الفرنسسكاني روبرتو كاراكشيولو الدينية معروفة ومشهورة ، وفي عهد السلالة الأراغونية في نابلي أورد روبرتو هذا في كتابه كلمة الإيمان (Specchio della Fede) خلاصة لما وصفه هو « بالكتاب الذي يدعوه المسلمون بالمعراج وبلغة العرب سلم محمد » . ولا ريب في أن هذا هو كتابنا وانه قد اطلع عليه بنص لاتيني . غير أن الشاعر التوسكاني فازيو ديغلي أوبرتي يدنينا أكثر كثيراً من دانتي من حيث الزمان والمكان ، فهو يصف في كتابه دتامندو (Dittamondo) الفردوس كما يتخيله المسلمون ، منوهاً بكتاب المعراج في قوله :

« ولكنه في كتابه (أي كتاب النبي محمد ﷺ) الذي يدعى المعراج

يسرد ترتيب طعام الطوباويين

ويتحدث عن كل تفاحة (أي كل ثمرة من ثمار الفردوس) ... »

ويعود الفضل في لفت الانتباه الى هذا المقطع البالغ الأهمية والمؤلف من أبيات ثلاثة الى شيرولي . ترى أي ثمن كان يدفعه آسين لهذا المقطع !

وهكذا تكون السلسلة قد اكتملت . لقد كانت أوربة الغرب أو بتعبير أدق ايطالية القرن الرابع عشر تمتلك نصوصاً موفورة مفصلة ، تمتاز بأمانة النقل ، عن نظرة الإسلام للعالم الآخر ، نصوصاً يستطيع أيّ شاء أن يقرأها بالاسبانية أو الفرنسية أو اللاتينية دونما حاجة الى معرفة كلمة واحدة من اللغة العربية . وما من شك في أن « دانتي » قرأها ، وقد أثبت ما قرأه في قصيدته التي لا تُعدُّ من الشعر الرفيع ، وهي قصيدة فيها مزيج من الأساطير التاريخية الكونية ، يشهد موضوعها عليها بأنها تقليد لشعر دانتي . ونحن لو افترضنا أن مواطن دانتي وأستاذه العظيم لم يقتبس عن كتاب المعراج اقتباساً كبيراً فهل نستطيع أن ننفي الاحتمال بأن دانتي قد رأى كتاب المعراج ؟ وهو احتمال يوحي به تطابق مادة الموضوع ، والتماثل في نواح كثيرة محددة ، ووسيلة الانتقال التي ثبتت تاريخياً . إن التعصب القومي الثقافي - أو كما أوثر أن أفسر هذا التعصب بقولي التبلد الذهني المقرون بالخجل والافتقار الى دليل إيجابي - لم يعد يقوى على إنكار الافتراض الدال على الذكاء المتوقد الذي قدمه آسين قبل ثلاثين سنة وأمكن الآن اثباته بصورة رائعة ، وذلك من ناحية الحدس التي قام على أساسها .

غير ان إثبات حقيقة شيء ، وتقدير قيمتها والمكان اللائق بها ومدى أهميتها في مجموع هذه المادة شيء آخر . ترى كيف يمكننا أن نقدر قيمة الاحتمال الذي يكاد يكون الآن حقيقة واقعة مؤكدة ، وهو أن هذه الخلاصة

(Summa) عن فلسفة الحشر الإسلامية لم تكن مجهولة لدى مؤلف الكوميديا الإلهية ؟ وأي الاستنتاجات يمكن التوصل إليها من هذه المقارنة التي سبق أن أجراها في جوهرها آسين (ما دام ثابتاً أن معظم عناصر كتاب المعراج هذا كانت موجودة في المواد العربية الأخرى التي جمعها ودرسها) ؟ أي الاستنتاجات المنصفة يمكن التوصل إليها من مقارنة المصدر الشرقي بقصيدة دانتي ؟ وأود أن أكرر قولي إن اعتبارات الفن الشعري البحتة لا مكان لها هنا ، ولكن هنالك مشكلة كاملة من أوجه الشبه السيكولوجية والمعنوية والثقافية التي لا تعتبر المقارنة معها مشروعة فحسب بل ملائمة وواجبة . واذا كان البحث فيما اقتبسه دانتي من هذه النماذج وكيف اقتبسه عنها غير ذي أهمية لحكم على دانتي بصفة كونه شاعراً ، فانه عظيم الأهمية لايضاح المصدر الفكري لمعتقداته ، والموقف الديني الأساسي لروحه وطرائق انتقائه ودمجه هذه العناصر الأجنبية في ثقافته المتأهبة للاستيعاب ، أو بعبارة أخرى : ما هو مدى وما هي حدود هذا الاتصال بين فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وبين « مضمون » ــ وهنا استعمل الكلمة بمعناها المألوف في فن الشعر ــ رؤيا دانتي ؟ أية تأثيرات محددة أثارها هذا الاتصال في تكوين القصيدة الملهمة ؟ وهل يستطيع المرء أن يتحدث عن اقتباس مباشر مادي يكاد يكون آلياً ، وعن أوجه التقابل في المفاهيم ، إن لم يكن في الفن الشعري ، أو أن يتحدث عن الأثر المتغلغل ، إن لم يكن المستبعد لسواه ، للرؤيا العربية السابقة ، في رؤيا الشاعر الايطالي .

ان هذه الناحية لأكثر عمقاً ودقة ، من نواحي القصيدة ، استأثرت باهتمام عالم واحد فقط من العالمين اللذين فسّرا كتاب المعراج ، أما بالنسبة الى العالم الآخر مونوز « Munoz » فالعلاقة بين الكتاب المذكور والكوميديا لاتعدو علاقة الأنموذج بالتقليد ، التقليد الذي عملت فيه بطبيعة الحال يد التحسين والتجميل ، وأضفت عليه صفة البهاء الروحي ، ولكنه على أي حال تقليد مباشر

لا لبس فيه ، وما كان ليخطر ببال لولا وجود السابقة الأولى . وبعبارة أخرى إن وجود كتاب المعراج ، وثبوت انتقاله الى عالم دانتي ، هما دليلان كافيان لأن يثبتا بصورة آلية الاعتماد المباشر للاحق على السابق في السلسلة الطويلة من أوجه التماثل التي أوردها آسين ، وهي أوجه التماثل في أسلوب التأليف وفي الفكر الأخلاقية واللاهوتية وفي الصور ورواية الحوادث ، وذلك من أسلوب تصميم الأقسام الثلاثة للعالم الآخر ، إلى أسلوب العقاب ، إلى مباهج الفردوس الأرضي ، إلى الرؤى التي تبهر الأبصار في الفردوس السماوي . ويرى مونوز أن سلسلة آسين القائمة على أساس أوجه الشبه واعتماد حلقة على أخرى ، لا تقبل النقض أو الجدل ، وكل ما ينقصها هو البرهان على وسيلة النقل التاريخية . ولما كنا قد وجدنا الآن هذه الحلقة في كتاب المعراج ، فقد انتهى الأمر وصار كل عنصر من عناصر الرؤى الاسلامية ، مهما غمض الشبه بينه وبين رؤيا دانتي ، يؤلف رابطة مباشرة بين الأصل والتقليد ، أو بين الأصل والفرع ، بل قل رابطة بين السبب والأثر . وفي هذه الحال فالكوميديا الإلهية يجب أن تذكرنا في الحقيقة بجامع قرطبة العظيم الذي كيفت أعمدته الشرقية المراكشية بما يتلاءم هو ومذهب التثليث المسيحي .

أما شيرولي فانه يبدي حساً تاريخياً أكثر حذراً (ولا ريب أنه لا يضمر أي تحيز قومي) ، وهو لا يرى أن قيام الدليل على معرفة ايطاليا للكتب التي تبحث فلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، واحتمال اطلاع دانتي على هذه الكتب ، يكفيان في حد ذاتها ليضعا بين أيدينا الدليل على شاعرية دانتي وروحانيته ومقدار إبداعه . وهو لا يتطرق إلى مشكلة « دانتي والإسلام » بالذات إلا في نهاية بحث كامل رائع حول « فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وكتّاب الغرب في القرون الوسطى » ، وهو بحث جمع فيه شيرولي وحلل كل أثر من آثار معرفة كتاب الغرب المسيحيين للفكر الإسلامية عن العالم الآخر ، حتى ما كان

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فمن مؤلفات بولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليو دالڤارينا الى جان دوڤيرني وغوغليو الطرابلسي ، ومن رامون مارتي الى لولو (Lullo) ، ومن توماس بورن الى روجر بيكن . وتبرز من هـذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدين بالنواحي الدنيوية والحسية للفردوس كما يصوره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر للسيحية فان مهاجمة الفكرة الإسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطربت بتأثير قوة الفكر الإسلامي ولكنها لم تكن تجهله ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومباهجه والتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الإسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية نضال ابن سينا وابن رشد لوضع الغبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأخرى من فلسفة الحشر والنشر الإسلامية في القرآن ، كما بلغ هـذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسّر الكبير للعالم الإسلامي الذي عاش في القرن الثالث عشر واستقى معرفته عنه من المناهل الأصلية الأساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الإسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الإسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدلل على القيمة الفريدة الفذة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتي والإسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتي بالديانة والعلوم والحضارة الإسلامية نصل الى نتائج

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للأبيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا تتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يعزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وقلما نجد في مؤلفات دانتي العقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفلكيين الذين عرفهم الغرب بأسماء : أبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) والبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ، واذا وجدت هذه المقتبسات فانما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانيوس (Albertus Magnus) وسان توماس : وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلا بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هـذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلحظه البعض في مؤلفات دانتي . ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر الى أن دانتي كان العالم الكبير (Clerk, Scholar) والمفكر المتسع الثقافة فان بعض الفكر الإسلامية الفلسفية والأخلاقية ـ وخاصة المتعلق منها بفلسفة الحشر الإسلامية ـ قد تسربت الى شاعرنا بمعزل عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا وتعابيره عن النور ، المشار اليها اشارة صريحة في كتاب (Convitio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما يعيد الى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمحي عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً الى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد أجاب شيرولي عن هذا السؤال إجابة تميزت بتنهي الحكمة وذلك مراعاة منه لا لمؤيدي دانتي بل لحقيقة ذاتها . فهو يظن ان قراءة الرؤيا الإسلامية يمكن أن تكون عند دانتي أحد الحوافز الخارجية التي حفزته الى معارضة ما كان يُفترض أنه كتاب مقدس في الإسلام (لأن هذا ما كان يعتقده الغرب في كتاب المعراج) ، بقصيدة مسيحية عن « رحلة الى الآخرة تسمو بصدق العقيدة والحذق الفني في معالجة أعظم مواضيع الملاحم الدينية ، على الصور الرائعة التي ربطها الاسلام ، بالفردوس والجحيم » ، بدون أن ننسى لحظة واحدة الدور الأولي الذي تلعبه في أصل القصيدة فكرة الحياة الجديدة (Vita Nuova) أو بالأحرى الحياة الجديدة نفسها والحياة المتقمصة المنقولة ، والرغبة في أن يقول في ملهمته بياتريس « ما لم يُقَل في أحد من قبل » . وفي نطاق هذا التأثير العام نستطيع أن نعزو إلى السابقة الاسلامية فكرة الدليل الصابر الكريم ، مفسّر جميع الأسئلة والشكوك (ويقوم بهذا الدور فرجيل وبياتريس مع دانتي وجبريل مع محمد) ، كذلك المسائل الدقيقة الكثيرة المتصلة بعلم الكون ، واللون المحلي الخاص لأقوال إله الجحيم بلوتوونمرود أو نمبروتي تلك الأقوال الغريبة التي تعيد إلى الذاكرة بعض العبارات العربية الواردة في النصوص اللاتينية لكتاب المعراج . ولكن دعنا الآن نواجه السيل الدافق من المتشابهات بين دانتي وكتاب المعراج . ان شيرولي عندما يستعرض أكثر هذه المتشابهات اتصالاً بموضوع البحث لا يغيب عنه أن يؤكد أهمية كل منها ، ليس على حدة وانفصال ، بل كجزء متحد بالمصادر الأخرى العديدة للالهام التي كانت قريبة المنال لدانتي ومألوفة بالنسبة الى ثقافته وخياله : ومنها المصادر الكلاسيكية الاغريقية اللاتينية ، والتوراة والانجيل والمصادر المسيحية ، وهي مصادر ساهمت في تكوينه الروحي (ذلك لأن أي اطلاع خاص من قبله على أمور العالم العربي الإسلامي هو ، كما رأينا ، مجرد افتراض ووهم) ، تلك المصادر التي

كان بالإمكان في كثير من الأحيان أن توفر لدانتي الإلهام نفسه الذي يوفره له كتاب المعراج لتزويده بتفاصيل رؤياه . وهذه هي الحال مع نسر جوبتر الذي صوّره دانتي ، حيث يمكن توحيد المصادر الكلاسيكية ومصادر التوراة المعروفة ودمجها بالصورة الإسلامية للملَك الذي يتخذ شكل ديك كبير ويقف على الأرض السابعة ، ولكنه يرفع رأسه عالياً حتى يداني عرش الإله وينشد مسبحاً بحمده ومجده (١) . وكذلك فمن الواضح أن السلّم الالهي الذي يستخدمه الاله (Saturn) ، ذلك المرتقى الذهبي اللون ، قد استوحي في المقام الأول من حلم يعقوب الوارد ذكره في التوراة ، ولكن هذا لا يستبعد الالهام الجزئي من معراج محمد الممتد من القدس إلى الفردوس الذي أعطى كتاب المعراج اسمه . وهكذا فيما يتعلق بالمحاكمة على الجسر الدقيق المسمى بالسراط ، القائم أمام الفردوس ومن تحته الجحيم تفغر فاها ، فهي تبدو في نظر شيرولي مماثلة للمحاكمة بالنار التي يتعرض لها دانتي لبلوغ الفردوس الأرضي ، هذا الفردوس الذي تبدو الدوافع الاسلامية لوصفه وصفاً أقرب الى الحس وأكثر إيحاء ، رغم أنه ينبغي أن لا ننسى الدور الذي تلعبه في هذا الايحاء أساطير التوراة عن جنة عدن ، والأسطورة الكلاسيكية عن حالة البشرية البدائية البريئة المباركة التي يشير اليها دانتي بقوله :

لعل الذين أعلنوا في غابر الأزمنة في أناشيدهم
قيام العصر الذهبي والرغد الذي يسوده
إنما حلموا بذلك المكان على جبل « بارناسوس »

ان دانتي نفسه ليلفت انتباهنا في هذه الأبيات من الشعر الى الصور السامية التي كانت تسبح أمام خياله السامي عندما أبدع بمقاطعه الشعرية الثلاثية الخالدة النابة الالهية كثيفة ونابضة بالحياة ؛ ومع ذلك فالمرء لا يستطيع أن ينكر

(١) ليس في الإسلام نصّ في هذا . (لجنة المجلة)

إنكاراً تاماً ما حصل عليه شاعرنا من إلهام في عمله الابداعي من ذكريات (فردوس المباهج) ، في كتاب المعراج وما فيه من ملذات هادئة ، لكنها صبيانية ، وينبوع مزدوج يتحول في قصيدة دانتي الى نهري « ليث » و « يونوي » ، وحادث وصول زمرة جديدة من أرواح البشر والعرائس اللاتي كن في انتظار هذه الأرواح بحب وشغف . ولكن حتى في هذه الحالة فإن إمكانية وجود العنصر الاسلامي متحداً بعناصر أخرى كثيرة ، أعظم منه حيوية ورسوخاً في ذهن الشاعر ، أمر يجب أن لا يبالغ فيه الى حد يتعارض مع ما يمليه العقل أو يتعدى حد الاحتمال ، ويجب تبعاً لذلك أن لا يطلب إلينا اعتباره مصدراً رئيسياً وموجِهاً للالهام . وإننا لنتساءل : ترى هل كان على دانتي أن يقرأ في كتاب المعراج عن حور محمد ليعلم أنه رأى من جديد في مجد الفردوس الأرضي بياتريس ، تلك التي كانت أسمى تجربة روحية في شبابه والنجم القطبي لحياته ؟ وهكذا يمر شيرولي مراً سريعاً خفيفاً بهذا الخضم الواسع من المتشابهات ، (لا بسبب السطحية ، بل لدقة وروعة المعالجة) مختبراً كلاً منها ازاء مبدئه الأساسي ، وهو ما نردده هنا مرة أخرى ، الاعتراف باحتمال امتزاج الدافع الاسلامي مع عدد كبير من المصادر الأخرى التي كان لها دوماً المكان الاول في ذهن دانتي وروحه ، حتى ولو انه من الثابت تقريباً أن دانتي اطلع على كتاب المعراج ، ذلك النص الوحيد الذي فتح أمامه الباب المؤدي الى عالم آخر ، لولا ذلك لبقي غريباً عن روحه ، وغريباً عن القيم الأساسية لنفسه اللاتينية المسيحية ومناقضاً لها .

وهكذا فاننا عندما نحكم ، في تحليلنا النهائي ، على الصلة القائمة بين دانتي وكتاب المعراج أو أي عنصر آخر من عناصر فلسفة الحشر والنشر الاسلامية يمكن أن يكون قد اتصل بالشاعر بوسيلة من الوسائل [وهنا أفكر بصورة خاصة بالمواضيع الجدلية لمجموعة طليطلة (Callectio Toletana)] يجب أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ننسى ما يجزم به شيرولي في صفحاته الأخيرة التي تمتاز بروعة خاصة ، ألا وهو أنَّ دوافع الالهام والتفاصيل الروائية التي يمكن إرجاعها إلى مصادر عربية قد دخلت الكوميديا كجزء من بناء أوحى به كله مصدر آخر ، مختلف عنه ، ولكنه مثالي وفريد في نوعه ، ألا وهو المصدر المسيحي . ويوضح لنا شيرولي من هذا الاختلاف الأساسي في الروح ، هـذا الاختلاف الذي يتميز تقريره والاعتراف به بما كان لبيضة كولمبس من طبيعة الوضوح الكامل والفعالية في حل المشاكل ، ناحية واحدة فقط نجملها في الأمور التالية وهي : الأهمية المطلقة للإيمان في عقيدة الخلاص الاسلامية والأعمال كوسيلة للخلاص عند دانتي وفي المسيحية ، وتقرير أهمية البر والمحبة في العقيـدة المسيحية كنقيض لمشيئة الله التعسفية [1] التي لا تقبل الجدل أو الاعتراض في الاسلام ، واختلاف قيمة الصلاة بين الطقوس الاسلامية الالزامية المضنية [2] من جهة وقوة المحبة الحيـة التي تفعل فعلها مع العدالة الالهية في الصلاة المسيحية . فليس باستطاعتنا اذن أن نتحدث عن انموذج وتقليد ، حتى ولو سلمنا باحتمال الانتقـال المادي لصور وفكر معينة ، ولا عن مجرد إضفاء الصبغة الروحية في حين يختلف الالهام الأساسي والموقف الأساسي اختلافاً جذرياً . ولذلك فإن المحرر الايطالي لكتاب المعراج يستنتج أن القصيدة المقدسة لا يمكن مقارنتها بجامع قرطبة ، المكرس الآن لمذهب يختلف عن المذهب الذي أنشئ هذا البناء الرائع في سبيله ، ولكن لكي نقدم مثالاً هندسياً أكثر ملاءمة لعلاقة دانتي بالعالم العربي ، يجدر بنا أن نلجأ الى ذلك العمود العربي الاسباني ، المنقوش عليه اسم صانعه المسلم والقائم في بناء مسيحي خالص ، من الوجهتين التاريخية والفنية وفي مجموعه وجميع تفاصيله ،

(١) ليس في الإسلام مشيئة تعسفية ، ولا إكراه ولا إلزام ، بل في القرآن الكريم « لا إكراه في الدين » وفيه « لكم دينكم ولي دين » . (لجنة المجلة)

(٢) ليس في العبادة الإسلامية طقوس . والصلاة المفروضة لا تحتمل أكثر من خمس دقائق ، وأما القداس الكنسي ففيه طقوس وأزياء مختلفة معروفة . (لجنة المجلة)

ونعني به كاتدرائية بيزا ، حيث مازال العمود المذكور يشهد بفن مجيد آخر بعد أن أخذ عرضاً ونتيجةً لحادث معين خاص واستخدم في إعطاء شكل رسمي ظاهري لمثل أعلى يختلف عنه في الناحية الدينية ، والشكل الظاهري .

إن أحدث دراسة شاملة للمشكلة القديمة التي أثارها آسين لأول مرة وأعيدت دراستها الآن على ضوء أحدث اكتشاف في الموضوع يؤدي بنا الى النقطة التالية : وهي كما أسلفنا أن العالمين اللذين ترجما كتاب المعراج هما أبعد ما يكونان عن الاتفاق في النتائج التي توصلا إليها وفي أسلوب استخدامها لترجمتيهما . أما تقرير أي الاثنين يجب أن نتبع في موقفه واتجاهه (ويبدو من نافلة القول أن أذكر هنا أياً من المترجمين الاثنين يعتبره كاتب هذه الأسطر مصيبا) فهذا يتوقف على إدراك الناقد الفرد وحاسة الحكم الصحيح على الأمور عنده ، معززين ، كما يجوز لنا أن نضيف ، بالاطلاع المباشر على انتاج دانتي وتفكيره وفنه ، وهو اطلاع كان آسين العظيم يتمتع به ولا ريب ، بخلاف بعض الذين رجعوا إلى كتابه . ولكننا نرى أنه ، حتى في نتائجها المتعارضة صار محورا المعراج الذي نقل إلى الغرب بفضل الملك الفونسو شوطاً كبيراً من الطريق مترافقَيْن ، والحقيقة هي أن هذا الجزء المشترك من الطريق الذي تكتنفه حقائق إيجابية لا يشوبها أي خلاف في التفسير ، هو الذي يدلنا على مدى النصر الذي أحرزه آسين بعد وفاته .

إن أستاذ مدربد الذي وقف وحده في وجه عدم مبالاة الذين يأبون التصديق وعدائهم ، أكّد أن المعتقدات الإسلامية المتعلقة بفلسفة الحشر والنشر والتي جمعها وحلّلها وانتقاها من أكثر مجالات الأدب العربي تباعداً - التقليدي منها واللاهوتي ، والصوفي والتهذيبي ، والعلمي والشعبي - لم تكن تلك المعتقدات تختفي وراء ستار حديدي قوامه اللغة والحضارة عن عالم الغرب اللاتيني وحبه للفضول والاستطلاع . وقد تتبع آسين الى أبعد الحدود المعروفة آنذاك وأقصاها

تسرّب هذا التراث الشرقي إلى العالم اللاتيني ، وبعد أن سدّ بدافع من الإيمان الحدسي جميع الفجوات التي واجهته رأى هذا التراث يزدهر في كثير من الأحيان بمماثلات ومشابهات مدهشة في (ملحمة دانتي الملهمة) ، وهي أعظم ما وصل اليه الإنتاج الفني للعصور الوسطى المسيحية · وبدا هذا التسرب الذي تتبعه آسين مماثلاً لمجرى الفيوس الأسطوري ، اذ اختفى في أعماق أرض اسبانيا ليظهر مجدداً في إيطاليا بعد انقضاء فترة من الزمن وقد اكتسب شكلاً خالداً في شعر دانتي · وكان يكتنف مجرى هذا الجدول في باطنه غموض شديد زاد فيه أن المرء لم يكن ليعرف أي المصادر المتعددة التي استقصاها آسين هو الذي وصل بالطريق المجهولة الى الهدف غير المرتقب · أما الآن فقد اتضحت المشكلة وتبسطت في آن واحد · فتلك النصوص العميقة الغور وغير المترجمة من الأدب العربي العالي ، كمؤلفات أبي العلاء المعري وابن عربي وما ماثلها لم تسترع انتباه دانتي بطريق مباشرة ؛ ولكنه من المحتمل أن يكون إنتاج من الأدب العربي الشعبي ، تلذ مطالعته وله طابع تهذيبي ، قد وصل إلى دانتي ووقع تحت بصره وعينيه ؛ ذلك لأنه من المؤكد أن ذلك الإنتاج (وهو كتاب المعراج) قد وصل الى البيئة التي كان يعيش فيها دانتي وانتشر في الجو الثقافي الذي كان يستنشق هواءه ، وهو أمر ثبت لدينا بعد نشر ترجمات الكتاب اللاتينية التي سبق لنا ذكرها ، والتي يرجع الفضل في وجودها الأول الى ما تحلى به ملك اسبانيا الفونسو من حب استطلاع مبدع خلاّق · وبهذه الوسائل ، وربما بها وحدها ، نستطيع أن نتحدث عن اتصال مباشر ، ؛ لولا ذلك ما كان ليخطر ببال ، بين ثقافة دانتي (وأعني بها ثقافة الشاعر وثقافة مجتمعه) وبين المجموعة العظيمة من المواد العربية التي جمعها آسين ، تلك المجموعة التي كان اتساعها وتنوعها عائقاً في طريق قبول نظريته · وخلاصة القول فقد ثبت الآن وجود هذا الاتصال غير المباشر بصورة واضحة المعالم · والى هذا الحدّ وبموجب هذه الشروط ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبدو حدس آسين لنا جميعاً في الوقت الحاضر ثابتاً ساطع النور . أما إذا تعدينا هذا الحد فسنجد آراء متعددة مختلفة فيما يتعلق بكيفية تفسير المختصين بدراسة دانتي للحقائق التي تم إثباتها ؛ وكما رأينا ، فهنالك من يرى أن الاتصال الذي تم ايضاح طريقه ، يثبت الدور الرئيسي الحاسم الذي بقول آسين إن فلسفة الحشر والنشر الإسلامية قد لعبته في خلق أعظم قصيدة مسيحية . ولكن هنالك من جهة أخرى أولئك الذين ، بنتيجة التمحيص والتدقيق والمقارنة الماهرة ، يعترفون بوجود اقتراحات وإيحاءات ، طابعها التعميم ، وصور ودوافع رافدة ، طابعها التخصيص ، دخلت جميعاً في روحانية وثقافة وخيال ، ليست سامية ومتفوقة فحسب ، بل ومختلفة عن تلك الاقتراحات والدوافع والصور اختلافاً تاماً جذرياً .

ومها يكن من شيء فلنتقبل الأمور التي نتفق حولها بدلاً من التشبث بالأمور التي نختلف عليها ، ولنرحب باكتشاف هذه القطعة الجديدة من شبكة الثقافة الدولية للقرون الوسطى ، تلك الشبكة التي تميزت بالمتانة والصلابة والمرونة ولم تعرف الأستار الحديدية (وهذا القول يخجلنا ويبعث على الاضطراب عندنا نحن أبناء هذا العصر) ، بل اجتازت أبعد المسافات وأعظم الحواجز المادية والروحية (بفضل التعاون بين القوى الفكرية) مما تحمدها عليه منظمة اليونسكو في يومنا هذا ، وذلك بعد أن سلطت على القطعة المذكورة أنوار انبعثت عن مجهود قام به في آن واحد عالمان أحدهما اسباني والثاني ايطالي . ولنفكر مرة أخرى هنيهة من الزمن في هذه السلسلة السحرية : كتاب المعراج العربي ، ملك اسباني ، طبيب يهودي ، ومسجل عقود ايطالي ... وفي الصور الخيالية للآخرة التي ازدهرت بصورة غامضة في قلب شبه جزيرة العرب ، وقد أحاطت بالبحر الأبيض المتوسط ونفذت الى لغة تسكانية العذبة ووصلت أرض فلورنسة

فأسهمت في إخصاب التربة التي أنتجت زهرة الكوميديا الإلهية السامية ، هذه القصيدة المقدسة التي أحاطتها يد الأرض والسماء ، ونكرر القول هنا اننا نقصد أرض الحضارة المسيحية وسماءها ، ولكنها سماء لا تخلو من انعكاسات من السماء المرصّعة بالنجوم ، التي حلّق فيها البراق المجهول الغامض في ليلة الإسراء المقدسة عند المسلمين ، ومن أرض الإسلام وخاصةً أرض اسبانيا حيث التقت حضارتان وتمازجتا في اتحاد عجيب ، وحيث أدرك بالحدس القوي النفاذ ، عالم محب للعزلة ، قبل خمس وثلاثين سنة ، انتقالاً أدبياً رائعاً ، ثبت وجوده الآن بالوثائق المحسوسة القاطعة .

فرانسسكو غابريلي

ترجمة : موسى الخوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية[1]

- ٢ -

مَن خالف صحيح المنقول فقد خالف صريح المعقول

إنَّ كل مَن أثبت ما أثبته الرسول ، ونفى ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح ، كما كان أولى بالمنقول الصحيح ، وإنَّ من خالف صحيح المنقول ، فقد خالف أيضاً صريح المعقول ، وكان أولى بمن قال الله فيه : «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» .

أنزل القرآن بلغة العرب لا بلسان الاصطلاح

ARCHIVE

(ص ٦٣) أرسل الله الرسول بلسان قومه ـ وهم قريش خاصة ، ثم العرب عامة ، لم ينزل القرآن بلغة مَن قال الأجسام متماثلة حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء ، هذا لو كان ما قالوه صحيحاً في العقل ، فكيف وهو باطل في العقل ؟

(ص ١٩٤) والقرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول (ﷺ) ، فليس لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والاستعارة ، ثم يحمل كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو .

ما المراد بالعالم

(ص ٦٨) المراد بالعالَم في الاصطلاح هو كلُّ ما سوى الله . فإنَّ هذه العبارة لها معنى في الظاهر المعروف عند عامة الناس أهل الملل وغيرهم ، ولها معنى في عرف المتكلمين ، وقد أحدث الملاحدة لها معنى ثالثاً . (فالمعنى الأول)

---

(١) نشر القسم الأول في (المجلد ٣٢ ، الجزء ٣ ، الصفحة ٤٩٢) .

انّ الله وحده القديم الأزلي ، وهذا المعنى هو المعروف عن الأنبياء وأتباع الأنبياء . (والمعنى الثاني) أن يقال لم يزل الله لا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بمشيئته ، ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقتضي ذلك مثل أن يقال : ان كونه لم يزل متكلماً بمشيئته أو فاعلاً بمشيئته ، بل لم يزل قادراً (هو ممتنع) وانه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم ، وقد يحكونه عن أهل الملل ، وهو بهذا المعنى لا يوجد في القرآن ، ولا غيره من كتب الأنبياء . (والمعنى الثالث) الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا (٤٢٨ هـ) وأمثاله ، قالوا : نقول: العالم مُحدَث ، أي معلول لعلة قديمة أزلية ، أوجبته فلم يزل معها ، وسمّوا هذا : الحدوث الذاتي ، وغيره : الحدوث الزمني . والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم ، إلاّ من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى . والقول بأنّ العالم مُحدَث بهذا المعنى فقط ، ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ، ولا أمة من الأمم المعظمة ، ولا طائفة من الطوائف المشهورة .

(ص ٧١) وإن قال الملحد : بل هذا العالم المشهود قديم ، واجب بنفسه غنيّ عن الصانع ، فقد أثبت واجباً بنفسه قديماً أزلياً هو جسم حامل الأعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتحله الحوادث والحركات ، وله أبعاض وأجزاء ، فكان ما فرّ منه من إثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد منه ، ولم يستفد بذلك الإنكار إلاّ جحد الخالق ، وتكذيب رسله ، ومخالفة صريح المعقول ، والضلال المبين .

حدوث العالم

(ص ٧٣) إن مسألة حدوث العالم اعترف بها أكابر النظّار من المسلمين وغير المسلمين ، حتى انّ موسى بن ميمون (أبو عمران) صاحب (دلالة الحائرين)

(سنة ٦٠١ هـ — ١٢٠٤ م) ـ وهو في اليهود كأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) في المسلمين ـ يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليها ، حتى الرازي (سنة ٦٠٦ هـ) وغيره من أعيان النظار اعترفوا بأن العلم بحدوث العالم لا يتوقف على الأدلة العقلية ، بل يمكن معرفة صدق الرسول قبل العلم بهذه المسألة .

قيام الصفات بالموصوفات

(ص ١٧٨) المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية مثل صورة الخاتم والدرهم والسرير والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر هو الفضة والخشب والغزل ، وكذلك الاتصال والانفصال قائمان بمحل هو الجسم .

(ص ١٤) وليست الصفات خارجة عن مسمى الموصوف ، ولا زائدة على ذلك ، بل هي داخلة في مسمى اسمه ، وكلام المتكلم ليس بيائن عنه .

(ص ٢٠) وأما الصفات الملازمة للموصوف في الخارج فكلها لازمة له ، لا تقوم ذاته مع عدم شيء عنها .

(ص ١٧٨) والخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر ان الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وان الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الإنسان بحيوانية تخصه . كما أن السواد والبياض إذا اشتركا في مسمى اللون يتميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر .

الموجود بنفسه والموجود بغيره

(ص ١٩٦) فالله تعالى هو الموجود الواجب بنفسه خالق لكل ما سواه ، وأما الهيئة الاجتماعية إن قدر لها وجود في الخارج فهي حاصلة به أيضاً سبحانه

وتعالى . وأما المجموع الذي كل منهم مفتقر إلى مَن يبدعه ، وليس فيه موجود بنفسه ، فيمتنع أن يكون فاعلهم واحداً منهم ، لأنه لا بدّ له من فاعل ، ولو كان فاعلهم لكان فاعل نفسه وغيره من الممكنات .

كل موجود فإما موجود بنفسه وإما موجود بغيره ، والموجود بغيره لا يوجد إلاّ بالموجود بنفسه ، ثبت وجود الموجود بنفسه ، واذا سمّي هذا واجبا وهذا ممكنا ، كان ذلك أمراً لفظيا .

الذات مستلزمة للصفات

وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد ، حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام ، وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية . هناك ذات موصوفة بصفات لازمة له . فاذا قال القائل : كل موصوف بصفات لازمة له يفتقر الى مركّب ومؤلف ، يجمع بين الذات والصفات كان قوله باطلا ، وانّ هنا ذاتاً موصوفة بصفات ، ولا دليل لك على أن الذات القديمة الواجبة المستلزمة للصفات مفتقرة إلى مَن يركّب صفاتها فيها . فقد علم أنه ليس المراد بالمركّب إلاّ اتصاف الذات بصفات لازمة لها ، أو وجود معان فيها ، أو اجتماع معان وأمور ونحو ذلك ؛ ليس المراد أنّ هناك مركّبا ركبه غيره ، حتى يقال : إن المركّب يحتاج إلى مركّب ، بل إنّ الذات ، إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج ، فتلك مستلزمة لصفاتها ، يمتنع وجودها بدون تلك الصفات .

موافقة المعقولات للسمعيات

(ص ٢١٤) إنّ هذه المعقولات التي اضطرب فيها أكابر النظار وهي عندهم أصول العلم الإلهي ، إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها موافقة لما قاله أئمة السنة والحديث ، العارفون بما جاءت به الرسل ، وتبين أنّ خلاصة المعقول خادمة

ومعينة وشاهدة لما جاء به الرسول (ﷺ) . ونحن - ولله الحمد - قد بينا الجواب عن جميع حجج الفلاسفة في غير هذا الموضع ، وبسطنا الحجج في ذلك .

(ص ٢١٧) وهذا مما تبين به أنه ليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص الثابتة عن الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم وهو المقصود ، والذين يعارضون الكتاب والسنة بما يزعمون أنه من العقليات القاطعة ، إنما يعارضونه بمثل هذه الحجج الداحضة ، فكلّ من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بواجب العلم والإيمان . وكلّ من جحد القضايا الضرورية المستقرة في عقول بني آدم التي لم ينقلها بعضهم عن بعض كان سوفسطائيا (١) .

المعقول ، مطابق لما جاء به الرسول

(ص ٢٣٢) وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمّهم السلف والأئمة ، لا قاموا بكمال الإيمان ، ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون أقواماً من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق لا يتمّ إلاّ بردّ بعض ما جاء به الرسول وهي لا تقطع أولئك الكفار بالمعقول ، فلا آمنوا بما جاء به الرسول حقّ الإيمان ، ولا جاهدوا الكفار حقّ الجهاد .

(ص ٢٣٢) وتبيَّن أن المعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول لا يناقضه ولا يعارضه ، وأنه بذلك تبطل حجج الملاحدة ، وينقطع الكفار ، فتحصل مطابقة العقل للسمع ، وانتصار أهل العلم والإيمان ، على أهل الضلال والإلحاد .

وقد كنت قديماً ذكرت في بعض كلامي أني تدبرت عامة ما يحتج به النفاة

(١) السوفسطائية أنكروا كلاً من الحسيات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كلّ منها . وسوفا معناه : العلم والحكمة ، و « اسطا » معناه المزخرف والغلط ، ومنه اشتقت السفسطة ، كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف : أي محب الحكمة .

من النصوص فوجدتها على نقيض قولهم أدلّ منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى : «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فبينت أنّ الادراك هو الاحاطة لا الرؤية ، وأن هذه الآية تدلّ على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها .

إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله

وإذا تدبّر العاقل الفاضل تبيّن له أنّ إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات ، لا يمكن إلاّ باثبات صفاته وأفعاله ، ولا تنقطع الدهرية[1] من الفلاسفة وغيرهم قطعاً باتاً عقليا لا صلة فيه إلاّ على طريقة السلف أهل الاثبات ، للأسماء والأفعال والصفات . ففحول أهل الكلام كأبي علي (سنة ٣٠٣ هـ) وأبي هاشم (٣٢١ هـ) والقاضي عبد الجبار (سنة ٤١٥ هـ) وأبي الحسن الأشعري (سنة ٣٢٣ هـ) والقاضي أبي بكر (سنة ٤٠٣ هـ) وأبي الحسين البصري (سنة ٤٣٦ هـ) ومحمد بن الهيصم وأبي المعالي الجويني (سنة ٤٧٨ هـ) ، وأبي الوفاء بن عقيل (سنة ٥١٥ هـ) وأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التي بنوا عليها النفي ، منهم من يبطل أصولهم المنطقية ، وتقسيمهم الصفات إلى ذاتي وعرضي وتقسيمهم العرضي إلى لازم للماهية وعارض لها ، ودعواهم أنّ الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتي داخل في الماهية ومنها ما هو عرضي خارج عن الماهية ، وبناءهم توحيد واجب الوجود الذي مضمونه نفي الصفات على هذه الأصول .

(ص ٢٥٩) وبعض حذاق المعتزلة نصر القول بعلو الله ومباينته لخلقه بالأدلة العقلية ، وأظنه من أصحاب أبي الحسين ، وقد حكى ابن رشد (سنة ٥٩٥ هـ) ذلك عن أئمة الفلاسفة ، وأبو البركات وغيره من الفلاسفة يختارون قيام الحوادث به كإرادات وعلوم متعاقبة ، وقد ذكروا ذلك وما هو أبلغ منه عن متقدمي الفلاسفة كما ذكرت أقوالهم .

---

(١) الدهرية : هم المنكرون للبعث والمعاد ، القائلون : « وما يهلكنا إلاّ الدهر » أي إلاّ مرّ الليالي والأيام .

(ج ٣ ص ٦٨) إنّ الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع هي طريقة فطرية ضرورية ، وهي خيار ما عندهم ، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها ، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ، ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد ، الذين آتاهم الله الهدى والسداد .

تكليم الله تعالى لعباده

الناس متنازعون في تكليم الله لعباده ، هل هو مجرد إدراك لهم من غير تجدد تكليم من جهته ، أم لا بد من تجديد تكليم من جهته ، ؟ على قولين للمنتسبين إلى السنة وغيرهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، فالأول قول الكُلّابية [1] والسالمية ومن وافقهم من أصحاب هؤلاء الأئمة القائلين بأنّ الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، بل هو بمنزلة الحياة . والثاني قول الأكثرين من أهل الحديث والسنة ، من أصحاب هؤلاء الأئمة ، وغيرهم وهو قول أكثر أهل الكلام من المرجئة [2] والكرّامية [3] والمعتزلة وغيرهم ، قالوا : ونصوص الكتاب والسنة تدل على هذ القول ، ولهذا فرّق الله بين إيحائه وتكليمه كما ذكر في سورة النساء وسورة الشورى ، والأحاديث التي جاءت بأنه يكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم .

الحوادث والمتجددات

(ج ٤ ص ١٧) ذكر (أي الآمدي) (سنة ٦٣١ هـ) أنّ لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم ، سواء أكان قائماً بنفسه كالجوهر ، أو صفة لغيره

---

(١) قال ابن كلاب ومن وافقه : كلامه تعالى صفة ذات ، لازم لذاته كلزوم الحياة ، ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته ، بل هو قديم كقدم الحياة .

(٢) لُقّبوا بالمرجئة لأنهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد ، أي يؤخّرون ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة .

(٣) نُسبت الفرقة الكرّامية إلى محمد بن كرّام (كجمّال) وقد نُسب إليه انه كان يقول : إنّ الإيمان قول بلا عمل (مات سنة ٢٥٥ هـ) .

كالأعراض ، وسمي ما ليس بموجود كالأحوال والسلوب والاضافات (متجددات) وهذا الفرق أمر اصطلاحي ، وإلاّ فلا فرق بين معنى التجدد ومعنى الحادث .

(ص ١٨) وأما المذاهب فيقال : لفظ الحوادث والمتجددات في لغة العرب يتناول أشياء كثيرة ، وربما أفهم أو أوهم في العرف استحالات كالأمراض والغموم والأحزان ونحوها ، اذا قيل فلان حدث به حادث ؛ وكثير منهم يعبّر بالأحداث عن المعاصي والذنوب ونحو ذلك .

صدورها عمن لا فعل له ولا صفة محال

(ص ١٠) فقولكم - (أي الفلاسفة والدهرية) - بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عمن لا فعل له ولا صفة ولا يحدث منه شيء أعظم فساداً من قول من يقول : انه تارة تصدر منه الحوادث ، وتارة لا تصدر ، فإنه إن كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شيء فيه محالا ، فصدورها دائماً عنه من غير حدوث شيء فيه أشد استحالة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفاة الصفات لا مستند لهم

(ج ٤ ص ١٨) ومن المعلوم أنه لا يمكن أصلاً أن ينقل عن محمد (ﷺ) ولا عن إخوانه المرسلين كموسى وعيسى صلوات الله عليهما ما يدل على قول النفاة لا نصًّا ولا ظاهرا ، بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة ، وتوافق قول أهل الاثبات ، وكذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون لهم باحسان ، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهوره ، وشيوخ المسلمين المتقدمون ، لا يمكن لأحد أن ينقل نقلاً صحيحا عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة ، بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات . فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر ، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة ، تنازعوا في هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب

الجهمية نفاة الصفات ، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين ، ولم يكن قبل هذا يعرف من أهل الملة مَن يقول بنفي الصفات ، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته تعالى .

(ص ٦٥) وحقيقة هؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم ، أنّ الربّ لم يزل معطلا ، لا يفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته وقدرته . ثم انه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به ، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئا ، بل إنما تحدُث صفاتٌ تقوم بها ، ويدّعون أنّ هذا قول أهل الملل الأنبياء وأتباعهم ! !

اضطرابهم في مسمّى واجب الوجود

(ص ١٨٧) واعلم أنّ هؤلاء غلطوا في مسمّى واجب الوجود ، وفيما يقتضيه الدليل من ذلك حتى صاروا في طرفي نقيض ، فتارة يثبتونه ويجردونه عن الصفات حتى يجعلوه وجوداً مطلقا ، ثمّ يقولون : هو الوجود الذي في الموجودات ، فيجعلون وجود كلّ ممكن وحادث هو الوجود الواجب بنفسه ، كما يفعل ذلك محقق صوفيتهم كابن عربي (سنة ٦٣٨ هـ) ، وابن سبعين (سنة ٦٦٨ هـ) ، والقونوي (سنة ٧٢٩ هـ) ، والتلمساني (سنة ٦٩٠ هـ) وأمثالهم ؛ وتارة يشككون في نفس الوجود الواجب ، ويقدرون أن يكون كل موجود ممكنا بنفسه ، لا فاعل له ، وأن مجموع الوجود ليس فيه واجب بنفسه ، بل هذا معلول مفعول ، وهذا معلول مفعول ، وليس في الوجود إلاّ ما هو معلول مفعول ، فلا يكون في الوجود ما هو فاعل مستغن عن غيره ، فتارة يجعلون كل موجود واجباً بنفسه ، وتارة يجعلون كلّ موجود ممكنا بنفسه ، ومعلوم بضرورة العقل بطلان كلّ من القسمين ، وان من الموجودات ما هو حادث ، كان تارة موجوداً وتارة معدوما ، وهذا لا يكون واجباً بنفسه ، وهذا لا بدّ له من موجود واجب بنفسه . . . وأن يكون ما دخل في مسمّى نفسه من صفاته لازماً له ، فاتصافه بصفاته سواء سمّي ذلك تركيبا أو لم يسمّ ، لا يمنع أن يكون واجبا بنفسه لا يفتقر إلى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمر خارج عنه ، ولهذا كانت صفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وإنْ لزم من ذلك تعدّد واجب الوجود بهذا المعنى ، بخلاف ما إذا عُني به أنه الموجود الفاعل للممكنات ، فإنّ هذا واحد سبحانه لا شريك له .

(ص ٢٤٨) والمسلمون متفقون على أن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته اللازمة لذاته ، لا يجوز عليها العدم .

(ص ١٩٤) وعامة ما يلبِّس به هؤلاء النفاة ألفاظ مجملة متشابهة ، إذا فسرت معانيها ، وفُصِل بين ما هو حق منها ، وبين ما هو باطل ، زالت الشبهة وتبين أنّ الحق الذي لا محيد عنه ، هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات .

إنّ مَن شكّ في أوضح الأمرين وأبينها في العقل ، وفي أمر لم يشكّ أحد من الأولين والآخرين فيه ، كان أولى بالجهل ممن قال ما قالت به الأنبياء والرسل وأتباعهم وسائر عقلاء بني آدم من الأولين والآخرين ، وعُلم ثبوته بالبراهين اليقينية ، وذلك أنه لم يجوز أحد من بني آدم ، وجود فاعل للعالم ، ولذلك الفاعل فاعل ، إلى ما لا نهاية له من غير أن يكون هناك فاعل موجود بنفسه ، فمن شك في جواز هذا ، أو عجز عن جواب شبهة مجوّزه ، كان جهله بيّنا ، وكان أجهلَ من أخش الناس ، قولاً بالباطل المحض من التشبيه والتجسيم .

لا يؤخذ بلفظ مجمل مشتبه حتى يتبين معناه ، ويعلم المقصود منه

(ص ١٧٩) هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة ، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم ، ثم ركبوها وألفوها تأليفاً طويلا بنَوا بعضه على بعض وعظّموا قولهم وهوّلوه في نفوس مَن لم يفهمه ، ولا ريب أنّ فيه دقةً وغموضا لما فيه من الألفاظ المشتركة ، والمعاني المشتبهة . ولهذا يجب على مَن يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم أن لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ، ويكون الكلام في المعاني العقلية المبيّنة ، لا في معانٍ مشتبهة ، بألفاظ مجملة .

(ص ١٨٠) وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وأمثال ذلك ، فليس على أحد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء ، لا في النفي ولا في الإثبات ، حتى يتبين له معناه .

فلسفة المعتزلة والجهمية في نفي الصفات والأفعال

(ص ١٨٧) إن المعتزلة والجهمية نفت أن يقوم بالله تعالى صفات وأفعال بناءاً على هذه الحجة ، قالوا لأن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم ، وبذلك استدلوا على حدوث الجسم . . . فصاروا ينفون ما ينفونه من صفات الله تعالى لأن إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسما ، وذلك ممتنع ، لأن الدليل على إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام ، فلو كان جسماً لبطل دليل إثبات الصانع .

وقالت المعتزلة كأبي الحسين وغيره أيضاً : إن صدق الرسول معلوم بالمعجزة ، والمعجزة معلومة بكون الله تعالى لا يظهرها على يد كاذب . . . وغناه معلوم بكونه ليس بجسم ، وكونه ليس بجسم معلوم بنفي الصفات ، فلو قامت به الصفات لكان جسماً ، ولو كان جسما لم يكن غنيا ، واذا لم يكن غنيا لم يمتنع عليه فعل القبيح ، فلا يؤمن أن يظهر المعجزة على يد كذاب ، فلا يبقى لنا طريق إلى العلم بصدق الرسول ، فهذا الكلام ونحوه أصل دين المعتزلة .

(ص ١٨٩) وجمهور العقلاء ، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وإن كان يحيل الجسم الأول الى جسم آخر ، فلا يقولون إن جرم النطفة باق في بدن الإنسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة ، والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن هذه القواطع العقلية ، هي التي يعارضون بها الكتب الإلهية ، والنصوص النبوية ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها . فيقال لهم : أنتم وكل مسلم عالم ، تعلمون بالاضطرار أن إيمان السابقين الأولين من المهاجرين

والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، لم يكن مبنيا على هذه الحجج المبنية على الجسم ، ولا أمر النبي أحداً أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ، ولا ذكر الله تعالى في كتابه وفي آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئا من هذه الحجج المبنية على الجسم والعَرض ، وتركيب الجسم وحدوثه ، وما يتبع ذلك ، فمن قال : إنّ الايمان بالله ورسوله لا يحصل إلاّ بهذه الطريق ، كان قوله معلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام .

وأما السلف والأئمة فينكرون صحتها في نفسها ويعيبونها لاشتمالها على كلام باطل ، ولهذا تكلموا في ذم مثل هذا الكلام ، لأنه باطل في نفسه لا يوصل الى حقّ بل الى باطل ... وان تقديم الشرع المعارض لها لا يكون قدحاً في العقليات التي هي أصل الشرع ، بل يكون قدحاً في أمور لا يفتقر الشرع اليها ولا يتوقف عليها وهو المطلوب .

أول من أظهر هذا النفي في الاسلام

وأول من أظهر هذا النفي في الاسلام الجَعد بن درهم معلم مروان بن محمد (سنة ١٣٢ هـ) ، قال الامام أحمد : وكان يقال انه من أهل خراسان ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات ، وكان بحرّان هؤلاء النفاة الصابئة الفلاسفة أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب ، كما صنفه ثابت بن قرة (سنة ٢٨٨ هـ) وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حرّان ، وكما صنفه أبو معشر الفلكي (سنة ٢٧٢ هـ) وأمثاله ، وكان لهم بها هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل الفعّال ، وهيكل النفس الكلية ، وهيكل زحل ، وهيكل المشتري ، وهيكل المريخ ، وهيكل الشمس ، وهيكل الزهرة ، وهيكل عطارد ، وهيكل القمر .

فالعقول عندهم عشرة ، والنفوس تسعة بعدد الأفلاك .

نفي الجبر وإثبات القدر

(ج ١ ص ٣٥) عن بقية بن الوليد (سنة ١٩٧ هـ) قال : سألت الزُّبيدي (سنة ١٤٩ هـ) والأوزاعيّ (سنة ١٥٧ هـ) عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ويقدّر ، ويخلق ويجبل عبده على ما أحبّ ، وقال الأوزاعيّ : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) ، فهذان الجوابان أحسن الأجوبة . أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري (سنة ١٢٤ هـ) فانه قال : أمر الله أعظم ، ويريدون بعضلها ـ أي النفس ـ منعها مما ترضاه . وأمّا الأوزاعيّ فانه منع من إطلاق هذا اللفظ حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيُفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل .

(ص ٣٦) قال النبي (ﷺ) لأشج عبد القيس : إنّ فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة ، فقال : أخُلقين تخلقتُ بهما أم خُلقين جُبلت عليهما ؟ فقال : بل خُلقين جبلتَ عليهما ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله « رواه مسلم » .

(ص ٣٩) وبذلك يتبين أن الشارع عليه السلام نصّ على كل ما يعصم من المهالك نصًّا قاطعا للعذر ، وقال تعالى : « وما كانَ اللهُ ليضل قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون » .

الإسلام يجمع الفِرَق ويعمُّها

(ص ٥٠) قال الشيخ أبوالحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الاسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء ضلل فيها بعضهم بعضا ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلا أنّ الاسلام يجمعهم فيعمّهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر الأصحاب ،

وأما الفقهاء فقد نقل عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : لا أردّ شهادة أهل الأهواء إلا الخطّابية (١) ، فإنهم يعتقدون حلّ الكذب . وأما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة ... والذي نختاره أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة .

(ج ٢ ص ٥٢) ثم إنه ما من هؤلاء إلا مَن له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الردّ على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على مَن عرَف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف .

وصف القرآن الكريم في الحديث النبوي

(ص ٢٩) رَوى الترمذي (سنة ٢٧٩ هـ) وغيره عن علي (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) : « إنها ستكون فتن » قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهُدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبلُ الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء .. مَن قال به صدَق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدَل ، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم » .

(١) الخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه ، تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدّد القول في ذلك ، ... فلما اعتزل عنه ادّعى الأمر لنفسه . زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد والهية آبائه (انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

الترجمة التفسيرية للقرآن

ولذلك يترجم القرآن لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة ، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ، ويترجم بالعربية ، كما أمر النبيُّ (ﷺ) زيدَ بن ثابت (سنة ٥٤٥هـ) أن يتعلَّم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك ، حيث لم يأمن اليهود عليه .

إثبات الإرادة الأزلية والعلة الفاعلية والغائية

(ص ٢٠٣) الأشعرية أثبتوا السبب الفاعل لإرادة العبد ، وأثبتوا لله إرادة قديمة تتناول جميع الحوادث ، ولكن لم يثبتوا لها الحكمة المطلوبة والعاقبة المحمودة ، فكان هؤلاء بمنزلة من أثبت العلة الفاعلية دون الغائية ، وأولئك بمنزلة العلة الغائية دون الفاعلية . والمتفلسفة المشاؤون يدعون إثبات العلة الفاعلية والغائية ، ويعلّلون ما في العالم من الحوادث بأسباب وحكم ... وحقيقة قولهم : إن أفعال الرب تعالى ليس فيها حكمة ولا عاقبة محمودة ، لأنهم ينفون الإرادة ، ويقولون ليس فاعلاً مختاراً .

حدوث ما يُحدثه تعالى من المخلوقات تابع لأفعاله الاختيارية

(ج ٢ ص ٣) حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه سبب الحدوث والله تعالى حيٌّ قيوم ، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء فعّال لما يشاء ، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث ، ونقلوه عن السلف والأئمة ، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين ، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة ، وعلى هذا فيزول الإشكال ، ويكون إثبات خلق السموات إنما يتم بما جاء به الشرع ... وكل كمال وصف به المخلوق من غير استلزامه لنقص ، فالخالق أحقُّ به ، وكلُّ نقص نزّه عنه المخلوق فالخالق أحقّ أن ينزّه

عنه ، والفعل صفة كمال لا صفة نقص ، كالكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص كعدم الكلام وعدم القدرة ، فدلّ العقل على صحة ما دلّ عليه الشرع وهو المطلوب .

ولما كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري (سنة ٢٥٦ ﻫ) وأبي زرعة (سنة ٢٦٤ ﻫ) وأبي حاتم (سنة ٢٧٧ ﻫ) ومحمد بن يحيى الذهلي (سنة ٢٥٨ ﻫ) وغيرهم من العلماء الذين أدركهم محمد بن اسحق (سنة ٣١٣ ﻫ) وابن خزيمة (سنة ٣١١ ﻫ) ، كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمته من أنّ الله تعالى ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، وانه يتكلم بالكلام الواحد مرةً بعد مرةٍ .

الكشف عن مذهب المعتزلة وبيان حقيقته

(ص ٦) كانت المعتزلة تقول : إن الله مُنزّه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفيُ الصفات ونفيُ الأفعال ، ونفيُ مباينته للخلق وعلوه على العرش ، وكانوا يعبّرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب ، فانهم إذا قالوا إن الله مُنزّه عن الأعراض لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما يُنكَر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه مُنزّه عن الاستحالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولا ريب أنّ الله مُنزّه عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك ، من الصفات التي يسمّونها هم أعراضا . وكذلك إذا قالوا : إن الله مُنزّه عن الحدود والأحياز والجهات ، أوهموا الناس أنّ مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات ربّ ولا على العرش إله ، وأنّ محمداً لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب اليه شيء ولا يتقرب إلى شيء ولا ترفع اليه الأيدي في الدعاء ولا غيره ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونحو ذلك من معاني الجهمية . وإذا قالوا إنه ليس بجسم أوهموا أنه ليس من جنس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكنّ مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ، ولا تقوم به صفة ، ولا هو مباين للخلق وأمثال ذلك . وإذا قالوا : لا تحله الحوادث أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكنّ مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان ، أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ، بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس هناك فعل ومفعول ، وخالق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين الفعل ونحو ذلك . وابن كلاب ومن اتبعه وافقوهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات .

الإمام الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى

وكذلك الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت العلوّ ونحوه مما تنفيه المعتزلة ، ويثبت الاستواء على العرش ، ويرد على من تأوله بالاستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش ـ أي هو تعالى مستول على كل شيء من مخلوقاته لا على العرش وحده ، وهو العالي على كل شيء ، المحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوي عليه شيء . وكان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون انهم يحتجون بالعقل لما عُرف ثبوته بالسمع ، فالشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين ، والعقل عاضد له معاون . لكن المعتزلة القائلون بأن دلالة السمع موقوفة على صحته صرحوا بأنه لا يستدل بأقوال الرسول على ما يجب ويمتنع من الصفات بل ولا الأفعال ، وصرحوا بأنه لا يجوز الاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة وإنْ وافق العقل فكيف إذا خالفه . وهذه الطريقة هي التي سلكها من وافق للمعتزلة في ذلك . وأما الأشعري وأئمة

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

أصحابه فإنهم مثبتون لها (أي الصفات الخَبَرية) يردّون على مَن ينفيها أو يقف فيها فضلاً عمن يتأولها .

وأمّا مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فإنّ ابن كُلاب والأشعريّ وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ونسبوهم إلى البدعة . والصواب إنّ الله بجميع صفات ذاته واحد ، لم يزل ولا يزال ، وما أُضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق .

التفاسير المأثورة مثبتة للصفات

والتفاسير المأثورة عن النبي صلوات الله عليه والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري (سنة ٣١٠ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بدُحَيم (سنة ٢٤٥ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم (سنة ٣٢٧ هـ) ، وتفسير ابن المنذر (سنة ٣٠٩ هـ) ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وتفسير أبي بكر مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١ هـ) ، واسحق بن إبراهيم (سنة ٢٣٨ هـ) وبقي بن مخلد (سنة ٢٧٦ هـ) وغيرهم . ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد ، وتفسير عبد الرزاق (سنة ٢١١ هـ) ، ووكيع بن الجرّاح (سنة ١٩٧) ، فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى . وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبيّ (ﷺ) والصحابة والتابعين .

خلاصة ما تقدم

الردّ بعشرات الآيات على مَن يقول : إن الله تعالى لا يتكلّم إلا بأصوات قديمة أزلية ليست متعاقبة وهو لا يقدر على التكلّم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل (٦٠ — ٦٣ ج ٢) وقد جاء في آخرها قوله : وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله لا سيما

المرتبة كقوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ، « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » ، « ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين » وآيات كثيرة كلها تدل على أفعال الله تعالى بالتعاقب والترتيب .

(ص ٦٠) وخلاصة هذا المبحث الطويل الجليل هو في قوله : لكن المقصود هنا أن نبين أن القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل ما لا يكاد يُحصر ، فمن له فهم في كتاب الله يستدلُّ بما ذكر من النصوص على ما ترك ، ومَن عرف حقيقة قول النفاة علم أنّ القرآن مناقض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها ، وأن القرآن يثبت ما يقدر عليه ويشاؤه من أفعاله تعالى التي ليست هي نفس المخلوقات .

كلام هؤلاء الطوائف

من تدبر كلام هؤلاء الطوائف بعضهم مع بعض تبين له أنهم لا يعتصمون فيما يخالفون به الكتاب والسنة إلا بحجة جدلية يسلمها بعضهم لبعض ، وآخر منتهاهم حجة يحتجون بها في إثبات حدوث العالم لقيام الأكوان به أو الأعراض ، ونحو ذلك من الحجج التي هي أصل الكلام المحدَث الذي ذمّه السلف والأئمة ، وقالوا إنه جهل ، وان حكم أهله أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ؟ ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ؛ وكذا مَن عرف حقائق ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ازداد بصيرة وعلما ويقينا بما جاء به الرسول (ﷺ) ، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنّة من كلامهم الذي يسمونه عقليات ، هي من هذا الجنس الذي لا يتفق إلاّ بما فيه من الألفاظ المجملة المشتبهة مع مَن قلّت معرفته بما جاء به الرسول ، وبطرق إثبات ذلك ؛ ويتوهم أنّ بمثل هذا الكلام يثبت معرفة الله وصدق رسله ، وأن الطعن في ذلك طعن فيما به يصير العبد مؤمنا ، فيتعجّل ردّ كثير مما جاء به الرسول (ﷺ) ، لظنه أنه بهذا الردّ يصير مصدّقا للرسول في الباقي .

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الربّ لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، بل ولا يمكنه عندهم أنه لا يزال يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم . وجعل هؤلاء من المعقول أنّه يمتنع دوام كونه قادرا على الكلام والفعل بمشيئته .

(ص ١١١) فاذا خلق في الشجرة « إني أنا الله رب العالمين » ـ ولم يقم هو به كلام ـ كان ذلك كلاما للشجرة ، فتكون هي القائلة !! والحوادث لا تحلّ به تعالى من غير مشيئة ولا قدرة ، بل يفعلها بمشيئته وقدرته ، واتصافه بها واجب لأنها صفات كمال . والذات الموصوفة بصفاتها ، القادرة على أفعالها ، مستلزمة لما يلزمها من الصفات ، قادرة على ما تشاؤه من الأفعال .

نفي القول بخلق القرآن

(ص ١٢٣) إنّ الطريقة المعروفة التي سلكها الأشعري وأصحابه في مسألة القرآن هم ومن وافقهم على هذا الأصل من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الحسن التميمي ، والقاضي أبي يعلى (سنة ٤٥٨ هـ) وابن عقيل (سنة ٢٥٥ هـ) وأبي الحسن الزعفراني (سنة ٢٥٩ هـ) من أصحاب أحمد (سنة ٢٤١ هـ) . وكأبي المعالي (سنة ٤٧٨ هـ) وأمثاله وأبي القاسم الروامي ، وأبي سعيد المتولي (سنة ٤٧٨ هـ) وغيرهم من أصحاب الشافعي (سنة ٣٠٤ هـ) ؛ والقاضي أبي الوليد الباجي (سنة ٤٧٤ هـ) وأبي بكر الطرطوشي (سنة ٥٢٠ هـ) وأبي بكر بن العربي (سنة ٥٤٣ هـ) وغيرهم من أصحاب مالك (سنة ١٧٩) ، وكأبي منصور الماتريدي (سنة ٣٣٣ هـ) وميمون النسفي (سنة ٥٠٨ هـ) وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة

(سنة ١٥٠ هـ) ، أنهم قالوا : لو كان القرآن مخلوقاً للزم أن يخلقه إما في ذاته أو في محل غيره ، أو قائماً بنفسه ، لا في ذاته ولا في محل آخر ، و(الأول) يستلزم أن يكون محلاً للحوادث ، و (الثاني) يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل الذي خلق فيه فلا يكون ذلك الكلام كلام الله ، كسائر الصفات إذا خلقها في محل ، كالعلم والحياة والحركة واللون وغير ذلك . (والثالث) يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها ، وهذا ممتنع . فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسألة القرآن ، وقد سبقهم عبد العزيز المكي (سنة ٢٤٠ هـ) صاحب المحاورة المشهورة إلى هذا التقسيم ، وقد يظن الظان أن كلامهم هو كلامه بعينه ، وانه كان يقول بقولهم ان الله لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيئته ، وان قوله من جنس قول ابن كلاب ، وليس الأمر على ذلك ، فإن عبد العزيز هذا له في الرد على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث . وذكر طرفاً من هذه المناظرة التي جرت بحضور الخليفة المأمون بين عبد العزيز الكناني المكي وبشر المريسي (سنة ٢١٨ هـ) إلى أن قال عبد العزيز : وما كان قبل الخلق متقدماً ، فليس هو من الخلق في شيء ثم قال : فقد كسرت قول بشر بالكتاب والسنة واللغة العربية ، والنظر والمعقول . ثم قال ابن تيمية - معلقاً على كلام عبد العزيز وبشر - : والمقصود هنا أن ما قام بذاته ، لا يسميه أحد منهم مخلوقاً ، سواء كان حادثاً أو قديماً ، وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر ، فإن بشراً من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده : لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ، بل ما ثمّ عنده إلا الذات المجردة عن الصفات والمخلوقات المنفصلة عنها كما تقول بذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، فاحتج عليه عبد العزيز بحجتين عقليتين ، (إحداهما) أنه إذا كان كلام الله مخلوقاً ، ولم يخلقه في غيره ولا خلقه قائماً بنفسه ، لزم أن يكون مخلوقاً في نفس الله ، وهذا باطل ، و (الثانية) أن

المخلوقات المنفصلة عن الله خلقها الله بما ليس من المخلوقات ، إما القدرة كما أقر به بشر ، وإما فعله وأمره وإرادته كما قاله عبد العزيز ، وعلى التقديرين ثبت أنه كان قبل المخلوقات من الصفات ما ليس بمخلوق فبطل أصل قول بشر والجهمية أنه ليس لله صفة ، وأنّ كل ما سوى الذات المجرّدة فهو مخلوق ، وتبيّن أنّ الذات يقوم بها معان ليست مخلوقة ، وهذا حجة مثبتة الصفات للقائلين بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق على مَن نَفَى الصفات ، وقال بخلق القرآن .

قصور كثير من المصنفين في المقالات والمذاهب عن بلوغ الغاية

(ص ١٥٨) يوجد كثير من المتأخرين المصنفين في المقالات والكلام يذكرون ـ في أصل عظيم من أصول الإسلام ـ الأقوال التي يعرفونها ؛ وأمّا القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول ، فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فالشهرستاني صنّف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله . والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبو بكر ، وأبو المعالي ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزعفراني ، وأبو الحسين البصري ، ومحمد بن الهيصم ، ونحو هؤلاء ، من أعيان الفضلاء المصنفين ، تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأئمة ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم ، مع أنّ عامة المنتسبين الى السنة من جميع الطوائف يقولون انهم متبعون للأئمة كمالك والشافعي وأحمد وابن المبارك (سنة ١٨١ هـ) وحماد بن زيد (سنة ١٧٩ هـ) وغيرهم لا سيما الإمام أحمد فانه بسبب المحنة المشهورة من الجهمية له ولغيره أظهرَ من السنة وردّ من البدعة ما صار به إماماً لما بعده ، وقوله هو قول سائر الأئمة ، فعامّة المنتسبين الى السنة يدّعون متابعته والاقتداء به ، سواء كانوا موافقين له في الفروع أو لا ، فان أصول الأئمة في أصول الدين متفقة ، ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته لأحمد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشدّ ، ولما كان الأشعري ونحوه أقرب الى السنّة من طوائف من أهل الكلام ، كان انتسابه إلى أحمد أكثر من غيره كما هو معروف في كتبه . . . . والعصمة إنما هي ثابتة لمجموع الأمة ليست ثابتة لطائفة بعينها .

قول الحشوية المنتمين إلى الظاهر

(ص ١٥٩) ذهب الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أنّ كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات ، وقطعوا بأنّ المسموع من أصوات القرآء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ؛ وأطلق الرعاع منهم القول بأنّ المسموع صوت الله تعالى عن قولهم . . . . ومعلوم أنّ هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا في كتاب أحد أنّ المداد الحادث انقلب قديماً ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامّة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يتعمدوا الكذب ؛ لكن القول المحكيّ قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يحرر قولهم ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين .

ما جاءت به الكتب والرسل هو الحق

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة ، توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يدخل التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الربّ لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم .

(ج ٣ ص ٨١) فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك (أي من صفات

الكمال) وكذلك الإنجيل ، وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ، ونبوة أشعياء وأرميا ، وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك ، والسلف من الصحابة والتابعين ، وأهلُ الحديث متواتر عنهم ذلك .

علم مما تقدم أن الله تعالى كامل الصفات ، له الأسماء الحسنى ، ولا يكون عن الكامل في ذاته وصفاته إلا الفعل المحكم ، لكن تلك الفرق جعلت قواعدها وأصولها محكمة ، وما أخبر به الرسول متشابها ، ثم أصلوا أصلاً في رد هذا المتشابه إلى المحكم ، وما أصلوه مخالف لصريح العقل وسليم الفطرة ، كما هو مخالف لما جاءت به الرسل عن الله .

قال الإمام ابن القيم : وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المقصد في عامة كتبه ، لا سيما كتابه الذي وسمه « بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح » فمزق فيه شملهم كل ممزق ، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء . وقال أيضاً :

وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود ، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ، ويعرف حاله الناقدُ البصير من الناس ، وقليل ما هم اهـ .

أقول وخاتمة القول في هذا الباب أن كلام الله ورسوله ، وكلام أئمة السنة والعلم ، هو أوضح تبياناً ، وأرسخ إيماناً ، وأوفى ميزاناً ، يتآخى فيه العقل والنقل ، والطبع والشرع ، والفطرة والدين ، وأنه هو الأسلم ، والأعلم والأحكم ، وأن نفاة الأفعال والصفات ، يشبهونه سبحانه بالجمادات « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » .

محمد بهجة البيطار

ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت (١)

– ٤ –

المعرض الزراعي :

زرت هذا المعرض في اليوم الثالث من قدومنا الى موسكو ، وحق له أن يعد في طليعة المعارض الزراعية العالمية سعةً وتنسيقاً وتنظيماً . افتتح في صيف هذا العام ، والغاية منه على ما قيل الدعاوة لما تحقق من تقدم زراعي في البلاد وما تم على يد التعاونيات الزراعية من ازدهار في هذا المضمار .

وتبلغ المساحة التي يشغلها المعرض ٢٠٧ هكتار ويشتمل على ٣٦٠ بناء موزعة على جمهوريات الاتحاد الست عشرة في جانب المباني الرئيسية التي تمثل المصالح العامة . وقد عمل في إخراجه الى حيز الوجود أربعة آلاف من المهندسين المعماريين والرسامين والنحاتين ورؤساء الحرف من جمهوريات الاتحاد كافة .

ويفتح المعرض الزراعي أبوابه في أول شهر آب من كل سنة حتى منتصف شهر تشرين الثاني . يرى الزائر أول ما يرى فيه باحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة ذات فوارة عالية ، يحيط بها أحواض ملأى بأنواع الأزهار الجميلة التنسيق والترتيب ، فضلاً عن التماثيل الرخامية المديدة ، والفوارات الجانبية الكثيرة تتلوّن بالمصابيح الكهربائية بألوان شتى مما يجذب سكان موسكو والزائرين القادمين من أنحاء الاتحاد وخارجه أن يجدوا السلوى المنشودة ناعمين بالنسيم العليل في ليالي الصيف ، مشنفين آذانهم بألحان الجوقات الموسيقية التي تعزف حتى ساعة متأخرة من الليل .

(١) انظر المجلة مج ٣١ : ص ٤١٦ و ٥٨٦ و مج ٣٢ : ص ٤٧٨ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما لم يكن لدينا متسع من الوقت لزيارة الأجنحة جميعها أو معظمها ، فقد اضطررنا الى الاكتفاء ببعضها . زرنا بعض الأجنحة التي تمثل المصالح العامة في المعرض بادئين بجناح الآليات (الميكانيكا) الذي تعلو سقفه قبة شاهقة ويحوي الكثير من آلات الزراعة الضخمة ، ثم انتقلنا الى جناح الحيوانات الزراعية والماشية ، وعرض علينا نوع من البقر قيل ان نتاج البقرة الواحدة من اللبن في السنة يبلغ ١٦ طناً ، ونوع من الغنم يختلف مقدار ما ينتجه من الصوف بين ١٥ و ٢٥ كيلو سنوياً ، ونوع من الثيران يبلغ وزن الواحد منها ١٦٠٠ كيلو ، في جانب أنواع الخيل العديدة والضخمة وهي ولا شك دون الخيول العربية جودة ومظهراً .

وانتقلنا بالطواف الى جناح يوزبكستان فشاهدنا من معروضاته الأنواع المختلفة من العنب والتفاح ، وقد ذقنا بعضه فلم نجد فيه تلك النكهة العطرة التي يمتاز بها ثمر بلادنا . ويعد القطن في طليعة منتوجات هذه الجمهورية العامة وقدّر ما جني منه في هذه السنة بـ ٦٠٪ من قطن بلاد الاتحاد السوفيتي .

وزرنا بعده جناح أرمينية وراعنا فيه أن رأينا الكثير من الفواكه التي اشتهرت بها بلادنا وما جاورها كالبرتقال والمندرين (اليوسفي) والموز في جانب الأثمار الأخرى ، ولهذه الجمهورية شهرة واسعة في صنع الأشربة الروحية .

ورأينا في جناح أوكرانية أنواعاً مختلفة من الحنطة ما بين صيفي وشتوي ، وكذلك الشوفان والشعير ، ولا غرابة ان رأينا سهولها الفسيحة أثناء تحليق الطائرة فوقها لا يكاد يخلو شبر واحد من أرضها من نبات ، وأن تكون هذه البلاد مطمح الغزاة وتربتها نادرة المثال بالطيبة والخصب .

وشاهدنا في جناح جورجية المحاصيل الزراعية التي تشبه محاصيل بلادنا شبهاً كلياً ، وانتهى بنا المطاف الى ما يدعى بالجناح المركزي ويبدو أنه مخصص بالدعاوة لكثرة ما شاهدنا على جدرانه من لوحات ولافتات ملأى بأرقام الإحصاء التي

ترمز الى مدى التقدم الذي أحرزته البلاد في عهد الثورة ووفرة الإنتاج الزراعي الآخذ بالزيادة باطراد . وبزيارة هذا الجناح الأخير ختم طوافنا في المعرض الزراعي وقد استغرق أربع ساعات ولو وددنا زيارة جميع الأجنحة لاقتضى لها عدة أيام .

متحف الثورة :

وهو كائن في شارع غوركي ، زرناه في الرابع من تشرين الثاني ، تحفه موزعة على ١١ قاعة خصصت الأولى لما يمثل حالة روسيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القاعتين الثانية والثالثة معروضات تبين حالة البلاد في خلال الثورة الأولى (١٩٠٥ — ١٩٠٧) ويرى الزائر في القاعة السادسة الوضع الذي كان قائماً خلال الحرب العالمية الأولى ، وبدء الثورة الثانية (١٩١٤ — ١٩١٧) وفي القاعات التالية ما تم في البلاد من أحداث بعد ذلك .

وإن من بين التحف المعروضة في قاعات خاصة الهدايا التي تلقاها ستالين من شعوب الاتحاد السوفيتي ومن الأصدقاء الأجانب ، وفيها مجموعة من السيوف والأسلحة المختلفة في جانب القطع النفيسة القيمة واللوحات الزيتية .

حفلة الاستقبال في المجمع العلمي السوفيتي :

أقيمت حفلة استقبال لوفدنا في مجلس الهيئة العليا (Presidium) لمجمع العلوم السوفيتي وذلك مساء الخامس من تشرين الثاني .

وصلنا في الموعد المضروب الى مقر المجلس الكائن في أحد الأبنية الفخمة أمام باحة كبيرة من أحد شوارع موسكو الواسعة ، ودخلنا قاعة الاستقبال الفسيحة ، وبعد التعارف مع الأعضاء الذين كان عددهم يربو على العشرين مع بعض مراسلي الصحف والمصورين ، جلسنا حول موائد نضدت عليها أكواب الشاي وما يتبعه من مآكل وأشربة مختلفة ، ابتدأ بالكلام أمين السر العام (السيد طوبجيف) بالروسية سارداً تاريخ المجمع ونشاطه ، وكانت مقاطع خطابه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تترجم تباعاً الى الفرنسية من قبل ترجماننا المرافقة (نادين) ، ورد عليه الزميل الأمير جعفر بالفرنسية بكلمة مناسبة شاكراً لمجمع العلوم السوفيتي دعوته لأعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق ، والحفاوة البالغة التي يلقاها الوفد في كل مؤسسة يزورها متمنياً للمجمع اطراد التقدم ، وتلاه أمين السر المساعد بكلمة ألقاها بالفرنسية مطرياً الجهد الذي يبذله مجمعنا العلمي في نطاق عمله خاصاً بالثناء زميلنا الأستاذ الدهان لبلائه البلاء الحسن في نشر المخطوطات وخبرته الواسعة في هذه الناحية ، وأخذت لنا أثناء ذلك عدة صور ودامت الحفلة قرابة الساعتين .

فما اطلعت عليه أن هذا المجمع الذي كان يعرف بالمجمع الرومي قد تأسس من قبل بطرس الأول سنة ١٧٢٤ فيكون قد سلخ من العمر حتى عام زيارتنا ٢٣٠ سنة وكان مقره في العاصمة بطرسبورغ (بتروغراد ثم لينفغراد الآن) وتم نقله الى موسكو بعد سنة ١٩٢٦ ، وقد أدى المجمع خدمات جلى ولا سيما في عهد رئيسه ميخائيل لومونوسوف (Mikhail Lomonossov) بكثرة العلماء الذين تم توجيهم وتخريجهم باشرافه .

وقد نص نظامه الأساسي الجديد الذي صدق سنة ١٩٣٥ ان من أهداف المجمع الرئيسية الإفادة الرتيبة مما يحققه العلم للمساهمة في تشييد مجتمع شعبي دون تمييز بين الطبقات ، وتضاعف نشاط المجمع بعد انتقاله الى موسكو وارتباطه بالسلطات الحكومية الموجهة ارتباطاً شديد الأواصر .

وأصبح مجمع علوم الاتحاد السوفيتي الآن معدوداً في طليعة المعاهد العلمية في العالم وبعد أن كان عدد أعضائه قبل الثورة ١٥٤ فقد أصبح ١٦٠ عضواً عاملاً و ٣٣٠ عضواً مراسلاً وبلغ عدد العلماء المنتسبين إليه ١٠٠٠٠ ومجموع العاملين فيه ٣٠٠٠٠ .

ومما قاله أمين السر العام إن لينين عني بالعلم واقتفى ستالين أثره مما أدى الى ازدهار مجمع العلوم السوفيتي وتحقيق أهدافه بهمة لا تعرف الكلل وأصبح

من أكبر المؤسسات العلمية في العالم . وان للمجمع الآن ثمانية فروع وهي : العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافيا وعلم الأحياء (Biology) والتكنيكا (Technic) والتاريخ والحقوق والفلسفة والأدب ، ويرتبط بالمجمع أكثر من ٥٠ مؤسسة للبحوث العلمية ، و ١٦ ملحقاً لها مقرها في نواحي البلاد النائية ، كما أنه يشرف على ٣ مراصد جوية و ١٧ مختبراً .

ولمجمع علوم الاتحاد السوفيتي الصلة الوثيقة بمجامع جمهوريات الاتحاد . ويشرف المجلس الأعلى على إحكام الصلة ما بين أجزاء هذا الجهاز الهائل ، يجتمع سنوياً في موسكو وينظم الخطط اللازمة الرامية الى تحقيق البحوث العويصة والعظيمة . وعلى ذلك فقد زاد عدد المشتغلين من رجاله ٦٠ ضعفاً عما كان عليه قبل الثورة وارتفع رقم الموازنة ٧٠٠ ضعفاً .

وتدير الأعمال لجنة تتألف من رؤساء الملاحق ويعمل تحت إشرافها الآن (١٩٥٤) ٤٠٠٠ باحث لتحضير الأطروحات .

وان في جانب مجمع العلوم السوفيتي مجامع للزراعة والطب وللفنون الجميلة . والصلات بين هذه المجامع متينة ، إذ يشترك معظم الأعضاء في الهيئة العليا المشرفة على إدارة البلاد (اللجنة المركزية للحزب الشيوعي) .

ويمنح المجمع جوائز سنوية قدرها ٢٠٠٠٠٠ روبل[1] في الدرجة الأولى و ١٠٠٠٠٠ في الدرجة الثانية و ٥٠٠٠٠ في الدرجة الثالثة .

ولمجمع العلوم السوفيتي ٥٠ مجلة علمية وقد بلغ عدد المطبوعات والنشرات التي تم طبعها في هذه السنة ٢٠٠٠٠ .

وقد علمت أن الهيئة العليا لمجمع العلوم السوفيتي تضم بين أعضائها طبيبين أحدهما يرأس شعبة بحوث الجملة العصبية (وقد زرته في اليوم السابق) والثاني أستاذ الفيزيولوجيا في كلية الطب .

---

(١) يساوي الدولار الأميركي ٤ روبلات في ذاك الحين ، وقد هبطت هذه القيمة عن ذي قبل الآن .

معهد الآداب الأجنبية :

زرنا هذا المعهد في السادس من تشرين الثاني ، وقد راعنا فيه حفظ مخطوطات غوركي ومخطوطاته وما الى ذلك من الآثار بطريقة فنية دقيقة يقيها البلى والفساد مع تقادم العهد وتطاول الزمن ، فضلاً عن الترتيبات المتخذة ضد الحريق .

دار كتب لينين :

يعنى أولو الأمر في بلاد الاتحاد السوفيتي عناية فائقة بنشر العلوم وتهوين السبيل للبحث والمطالعة فما زرنا مؤسسة من المؤسسات التي زرناها في شتى أنحاء البلاد إلا رأينا فيها مكتبة عامرة ، كما ان لكل معمل من المعامل بناء ضخماً في قربه يدعى بقصر الثقافة (Palais de Culture) يضم فيما يضمه مكتبة تحوي من الكتب ما يرفع مستوى العامل ويتيح له أن ينمي معلوماته ويستزيد علماً مما يفسح له المجال الى زيادة الأجر ونوال التقدير ، في جانب ما يضمه المبنى المذكور من مسرح للتمثيل وقاعة للسينما وملاعب للرياضة .

ولقد ترامى إلينا أن عدد المكتبات العامة في بلاد الاتحاد قد بلغ ٣٦٨ الف (سنة ١٩٥٤) منها زهاء ألف في العاصمة وحدها . ومما يباهي به رجال هذا العهد أن موسكو لم يكن فيها عام ١٩١٣ سوى ١٢ مكتبة عامة عدد المجلدات فيها ٨٥ الف وارتفع في هذه السنة الى ١٥٠ مليوناً .

ولدار كتب لينين في العاصمة السوفيتية المقام الأول وهي من مفاخر هذه البلاد حقاً ولم أر مثيلاً لها في المكتبات التي زرتها في عواصم بلاد الغرب المختلفة . زرناها في السادس من الشهر وقد استقبلنا القيم عليها وأدلى الينا بالمعلومات التالية :

يعود تأريخ تأسيس هذه المكتبة الى سنة ١٨٦٣ ولم يكن عدد ما تشتمل عليه من كتب ليتجاوز قبل الثورة ١٠٠٠٠ مجلدة واقتصر عدد القاعات فيها على ٢٠ حتى سنة ١٩١٧ ، أضيف اليها ١٤ قاعة ، وسرعان ما ارتفع عدد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتب الى مليونين وأصبح الآن (سنة ١٩٥٤) ٧٧ مليون و ٣٠٠ ألف[١] وارتفع عدد الموظفين فيها من ٤٥٠ الى ١٧٥٠ وان مجموعة نادرة من الصحف تحويها المكتبة في جانب المخطوطات والطبعات الأولى من مطبوعات القرنين الثالث عشر والرابع عشر والتي تعد الوحيدة من نوعها ولا سيما فيما يختص بالأساتذة الروس من أدباء وعلماء .

ويشتمل فرع الكتب النادرة على مجموعة عظيمة من المنشورات الروسية من العصر السادس عشر الى العصر التاسع عشر وان من بين هذه الكتب ما كان ممنوعاً اقتناؤه في العهد القيصري وتم طبعه بصورة سرية .

وتحتفظ المكتبة باحترام كلي الطبعات الأولى لماركس (Marx) وأنجـل (Engels) كما انها قد جمع فيها الطبعات الأولى لمؤلفات لينين (V. Lenine) وستالين (J. Staline) .

وليست موجودات المكتبة باللغة الروسية وحدها بل ان فيهـا كتباً كتبت بـ ١٦٦ لغة . وهي تتبادل المطبوعات مع معظم مكتبات العالم وترد اليهـا مطبوعات الاتحاد السوفيتي بالمجان ، تقتني ما صدر منها خارج بلاد الاتحاد إما عن طريق التبادل أو الشراء ، وقد قيل لنا ان عدد الكتب النادرة يبلغ ١٨٠٠٠٠ وعدد ما فيها من كتب عربية ٣٥٠٠ ، منها ١٥٢ مخطوطة . والمكتبة مشتركة بـ ٩٠ صحيفة و ٨٠ مجلة واشتركت سنة ١٩٥٤ بـ ٨٦ من مصر ولبنان وفيها ٦٢ ألف ميكروفيلم .

ولا أدل على عظمة هذه المكتبة من أن طول الرفوف التي نضدت الكتب فوقها يبلغ مجموعه ٢٠٧ كيلو متر ، وأن نقل الكتب من مستودعها الى قاعة التوزيع ليتم بحافلة كهربائية خاصة .

(١) لقد حاولت عبثاً الحصول على معلومات حديثة عن هذه المكتبة وعن جامعة موسكو سواء بالكتابة أو بتكليف من لهم صلة من السوفيتيين ، مما يشير الى استمرار التحفظ الشديد في اقامة الصلة بالأجانب ، شأنهم فيما مضى دون اي تغيير .

تفتح المكتبة أبوابها للقراء من التاسعة صباحاً حتى الثالثة والعشرين والنصف ليلاً ويختلف عدد القراء فيها من ٤٠٠٠ — ٥٠٠٠ في اليوم . موازنتها ٥٠ مليون روبل .

وإن مما جلب انتباهنا فيها القاعة المخصصة للأولاد ، والجهاز الفني الذي يشتمل على ٣ مختبرات للكيمياء ومختبر واحد للبحث الفطري (Mycology) وفيها فهرس يشتمل على جميع الكتب التي طبعت في بلاد الاتحاد السوفيتي . وان المكتبة تتبادل الكتب مع ٥٢٥ مؤسسة منها ٧٤ في الولايات المتحدة و ٣٤ في المملكة المتحدة و ٣٢ في فرنسة . وتصدر نشرة سنوية عن الكتب الأجنبية .

وإن مما قاله قيم المكتبة لنا إن في النية توسيع المكتبة في السنة القادمة ، وإن لها ٣ ملاحق اثنان منها في موسكو وواحد في بالطه .

هذا ويلاحظ الزائر للمكتبة الهدوء والسكون اللذين يخيمان على من فيها من موظفين وقراء بما فيهم الأولاد وتنظيم العمل في استخدام الكتب في منتهى السرعة ، إذ لا يستغرق طلب الكتاب من مستودعه ووصوله إلى قاعة المطالعة بالحافلة الكهربائية أكثر من بضع دقائق .

العرض العسكري :

وهو العرض العسكري للذكرى ٣٧ لثورة ١٥ تشرين الأول يقام في صباح السابع من تشرين الثاني الآن (بعد أن بدل التاريخ الشرقي السابق بالتاريخ الغربي) ويقام نظيره في الأول من أيار من كل سنة وكلاهما يوم عيد وطني تعطل فيه جميع الأعمال والمصالح في أنحاء الاتحاد السوفيتي كافة .

نبئنا مساء اليوم السابق بالدعوة التي وجهت الينا لشهود العرض العسكري ولم تسلم الينا بطاقات الدعوة إلا صباح هذا اليوم نفسه . وقد أعلمنا بلزوم ترك الفندق قبل موعد العرض بساعتين وأن علينا أن نذهب الى الساحة الحمراء (مكان العرض) مشياً على الأقدام لأن وسائل النقل بما في ذلك السيارة

المخصصة لركوبنا معطلة . خرجنا من الفندق بصحبة الترجمانة فألفينا الأسواق التي مررنا بها كلها مغلقة الأبواب ، ولم نر أية سيارة في الطرق جميعها ، وكانت شراذم من الجند ترابط بها عند كل مفترق للطرق ، والغريب من هؤلاء الجنود أنهم لا يحملون أي سلاح . اضطررنا للوصول الى الساحة الحمراء أن نسلك سبلاً ملتوية غير مستقيمة حتى استغرق وصولنا اليها ٥٠ دقيقة بينما لا يتجاوز هذا ١٥ دقيقة في الأيام الأخرى .

وكنا نُسأل عند كل مكان ترابط فيه الجنود عن بطاقات الدعوة التي نحملها وعن هوياتنا وقد أحصيت عدد المرات التي فتشت فيها تلك البطاقات فبلغت الثمانية ، ولكم لقينا في خلال مرورنا من تلك الطرق الخاوية من ممانعة من الجنود بالمرور طالبين الينا المرور من طريق أخرى لولا كلمات كانت تهمس بها ترجماتنا ودليلتنا في أذن رئيس تلك الشرذمة من الجنود فيفسح لنا المجال بالمرور دون سوانا من المشاة الذين ليس لهم الا سلوك الطرق الأخرى .

وصلنا الى الساحة الحمراء في الساعة التاسعة وعشر دقائق ، فوجدناها غاصة بمآت الألوف من البشر ، وقادنا أحد الرتباء الى المكان الذي خصص لجلوسنا وكان رقمه ٦ يبعد عن المنصة الرئيسية قليلاً ويظن أنه مخصص للأجانب وبعض أساتذة الجامعة وأعضاء المجامع ، فقد عرفت من بين هؤلاء أحد الأطباء الذين زرتهم في اليوم السابق في المعهد الطبي الذي يشرف عليه .

وابتدأ العرض العسكري في تمام الساعة العاشرة بقدوم المارشال بولغانين الذي كان إذ ذاك وزيراً للدفاع ، راكباً سيارة مكشوفة وواقفاً فيها لتأدية التحية العسكرية لجموع المحتشدة في جانبي الطريق التي اخترقتها سيارته منطلقة من أحد أبواب الكرملين ، وتلقاه في آخر الساحة قائد موقع موسكو وهو واقف في سيارة مكشوفة أيضاً .

وكانت تتقدم الجموع الغفيرة المجتمعة في الساحة الحمراء صفوف من الجند

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمثل القطع المختلفة من رجال الجيش من مشاة وبحارة وطيارين وصف ضباط ، وكلما مرّ وزير الدفاع بسيارته أمام القطعات كان يجهر بكمات التهنئة بالعيد الكبير فيتلقى الجواب من الجند بصوت جهوري . وما ان وصل أمام المنصة الرئيسية حتى عزفت جوقة الموسيقى (وقد قدرت عدد أفرادها بـ ١٠٠٠) النشيد الوطني ، وسرعان ما قصفت المدافع من فوق أسوار الكرملين ، وألقى المارشال بولغانين كلمة لم يتجاوز إلقاؤها ١٠ دقائق عدّد فيها الأعمال التي تمت في خلال السنة المنصرمة من إنماء في الاقتصاد وازدهار في الزراعة ، ثم تطرق الى السياسة الخارجية مقتصراً على الخطوط الرئيسية . ونقلت ترجماننا نصها الى الفرنسية . وبعد الانتهاء من هذه الخطبة المقتضبة ابتدأ العرض العسكري بمرور القطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى بنظام بديع [1] وترتيب فائق يخيل الى الرائي كأن صفوف الجند (وعددها ٣٢) تتحرك حركة موافقة كشخص واحد . فمثلا مرور المشاة والخيالة المدفعية والآليات من خفيفة وثقيلة ومدافع مما لم يقع نظرنا على أمثالها بينما كان هدير الطائرات يملأ الفضاء .

وما أن انتهى استعراض الجنود وقد دام زهاء ساعة ونصف الساعة ، حتى تبعه مرور المنظمات الرياضية ونوادي الشباب من ذكور واناث بأعلامها وشاراتها المختلفة بنظام لا يقل عما شاهدناه في الجند والكل يهزج الأهازيج الحماسية .

والاستعراض الذي بدأ في تمام الساعة العاشرة استمر حتى الرابعة عشرة ، وفضلت وصحبي الانسحاب والعودة الى الفندق ، ولم تتسنَّ لنا هذه إلا بشق الأنفس بتجنبين الطرق التي رسم لقوافل الناس أن تخترقها .

(١) كنت أظن أن مثل هذه الاستعراضات العسكرية انما تتم بات يومها دون استعداد سابق ، إلا اني في رحلتي الثانية الى موسكو والتي تمت قبيل العيد الوطني بأيام لاحظت في جانب التحضيرات التي ترتب أثناء النهار ، ترتيبات عسكرية وتمارين تقوم بها قطعات الجند قبيل منتصف الليل عندما يخف المرور من الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء .

متحف تريتيا كوف (Tretyacov) :

وهو متحف اللوحات الزيتية التي تمثل الفن الرومي للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين · يحمل اسم المثري الذي أسسه غواية منه في هذا المضمار ثم وهبه للشعب · أتيح لي أن أزوره مرتين الأولى سنة ١٩٥٤ والثانية سنة ١٩٥٦ ، وأن أمتع الطرف في كلتيهما بما يزين قاعاته الاثنتين والخمسين من صور زيتية رسمها وصوّرها نوابغ الفن الرومي ، ولطالما شاهدنا ما نقل عنها من مثيلات تزين جدران أبهاء المؤسسات والدور والفنادق في جانب اتخاذ بعض البيوتات التجارية لبعض الصور شعاراً تجارياً لها ·

يعد السوفيت النصف الثاني من القرن التاسع عشر العصر الذهبي للفن الرومي في نواحيه المختلفة ، ففيه ظهر نبغاء الكتاب والموسيقيين والرسامين والنحاتين الذين يمثلون مايدعونه بالفن الديموقراطي الواقعي (Democratic and realist art) · لذا يعتبرون هؤلاء وأولئك باعثي اليقظة في روح الشعب ومذكي نار الثورة والانتفاض ، وان ما أتوا به من روائع الفن لتتجاوب مع ما يكمن في قرارة نفوس سواد الناس من تأهب للثورة والانتفاض على الطبقة الارستوقراطية وطغيانها الغاشم ·

وعلى ذلك كان دليلنا في زيارة متحف تريتيا كوف يفسر لنا مدلول كل لوحة من اللوحات بما يأتلف والفكرة السالفة ولكم خامرنا الشك في بعض ما ذهب اليه إذ لا يعقل أن تنصب مشاعر جميع المتفننين على احترام نار الثورة وأن تخلو تلك اللوحات مما يمجد العهد السالف متغاضية عن بعض محاسنه (وإن قلّت) وأن لا يرى أي أثر لمأثرة من مآثر تلك الامبراطورية التي كان لها شأنها حيناً من الدهر · فكل اجتماع شعبي تمثله إحدى اللوحات على رأي الدليل كان تفسيره تنادي الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب ومطالبتها بحقها السليب ،

متى كان تاريخ تلك اللوحة يعود الى عهد القياصرة وإلا فهي نقيض ذلك تفسر بالتأييد والدعم ٠

ويعود تاريخ أقدم اللوحات الى ١٨٦١ وأحدثها الى ١٩٣٠ ورأينا بين اللوحات لوحة الرسام بيروف (Perov) وتاريخها ١٨٦٥ وعنوانها تشييع الميت الى المقبرة كيف أن الأرملة الثاكل تقود الحفة الثلجية التي تحمل نعش زوجها مقوسة الظهر تمسك بعنان فرس هزيل على أرض كساها الثلج وبنياها يمسكان بجانبي النعش ، فهي ترمز ولا شك الى منتهى الشقاء والفقر والحرمان ٠

وللرسام نفسه لوحة لها شهرتها في جميع البيئات عنوانها الصيادون حين الراحة ويبدو فيها ثلاثة صيادون اثنان منهم في سن متقدمة والثالث شاب حديث العهد في هذه (الهواية) يسرد أحد العجوزين مغامراته الفذة والمبتدئ يصغي اليه بانتباه بينما العجوز الآخر مضطجع على جنبيه يبتسم لتلك الأقاصيص وينم على شكه بصحتها ومبالغة الراوي لما حكه بيده خلف أذنه ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن اللوحات التي تندد بالعهود السالفة لوحة نافرف (Nevrev) سنة ١٨٦٦ ويرى فيها الناظر مشهد المساومة على بيع الفتاة الحسناء بين رب المقاطعة والمثري المشتري ، وأهلوها واقفون مشدوهون منتظرون مصير فلذة كبدهم ، وكذلك لوحة بوركيروف (Purkirov) سنة ١٨٦٢ وفيها صورة من مراسم إكليل الزواج بين كاعب في ريعان الصبا وشيخ بلغ من الكبر عتيا يظهر من سيماء ثراؤه وانتماؤه الى الطبقة الارستوقراطية ٠

وإن اللوحات التي تندد بويلات الحروب وما يتبعها من دمار لكثيرة ، الجزء الكبير منها تصور غارات التتر والأتراك والمواقع التاريخية الشهيرة التي تم النصر فيها للروس منها لوحة فرشخاغين (V. V. Vercshabagin) الذي عرف بأنه رسام المعارك الحربية وقد طاف في أنحاء القفقاس وآسيا الوسطى والهند وفلسطين واليابان وغيرها من البلاد ، تعرف اللوحة بمجد الحرب (Apotheosis of war)

كادعاها محمد تيمورلنك(Ap. of Tamerlane) أيضاً ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٧١ ، صور فيها هرماً من الجماجم يرتفع فوق صحراء تلفحها الشمس ووراءه خرائب مدينة قديمة ، وأراد الرسام بعد ذلك أن يضفي على لوحته الزيتية معنى سياسياً فقدمها هدية الى جميع الفاتحين في العصر الحاضر وفي الماضي والمستقبل شأن ما يبدو في الكتابة البادية على اطار اللوحة . ومع أنه لم يكن من أنصار الحرب فقد أشاد ببطولة الجندي الرومي وشجاعته . ورأينا في إحدى اللوحات التي تمثـل المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الرومي والأتراك (١٨٧٣) كيف كان جواب الجيش الرومي المحاصر لطالبي الاستسلام اذهبوا الى الشيطان (Go to the devil) كما يبدو في أسفل اللوحة ، وكذلك لوحات تمثل الجيش الرومي قبل المعركة مع الأتراك وبعدها والجثث الكثيرة التي تملأ الأرض . ومن اللوحات التي تمثل الحياة في آسيا الصغرى اللوحة التي يبدو فيها مشهد بيع الرقيق وباب تيمورلنك (١٨٧٢) ، ومن لوحاته في الهند ضريح تاج محل في آغرا . ورسم عدا ذلك بعض اللوحات التاريخية التي يضمها متحف التاريخ في موسكو كنابوليون في روسيا والتي تمثل بطولة الجيش الرومي في الحرب الوطنية (١٨١٢) . لذا يعد الناس لوحات هذا الرسام مصداقاً على كرهه حرب العدوان ودليلاً على وطنيته الملتهبة .

وللرسام فازنتزوف (V. Vasentsov) لوحة رائعة (١٨٨٠) عنوانها بعد المعركة وهي المعركة التي دارت رحاها بين الجيش الرومي والمغيرين من رجال القبائل ، فترى في هذا المشهد جثث القتلى مبعثرة فوق الأديم والقمر في كبد السماء يضيء ساحة الوغى بنوره الباهت والنسور تتسابق على التهام أولئك الضحايا وكأنها بتطاحنها فوقها في معركة تلتحم فيها الأجنحة بعضها في بعض مما يضفي على اللوحة المذكورة التي طار صيت الرسام بسببها روحاً شاعرية سامية .

ولوحة الرسام نفسه المعروفة بالبواسل (Warriors) الثلاثة من اللوحات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي استنسخت وتراها تزين الكثير من قاعات الاستقبال حتى ان شركة من شركات صنع اللفائف قد اتخذتها شارة لمصنوعاتها ٠

وانتهى بنا الطواف في قاعات هذا المتحف الى زيارة قاعة أوكرانيا وفيها الصور الزيتية الرائعة وفي مقدمتها اللوحة الكبيرة التي تغطي أحد الجدران وفيها مشهد حفلة ذكرى التحاق أوكرانيا بروسيا ومرور ٣٠٠ سنة عليه ٠

جامعة موسكو :

وهي الجامعة الجديدة التي بنيت في مكان يعرف بهضبة لينين والتي هي أول ما يراها القادم من المطار في طريقه الى العاصمة ، وبعد مظهرها مع الكرملين أجمل طابع لعاصمة السوفيت ٠ وتحمل الجامعة اسم العالم الروسي لومونوسوف (Lomonosov) الذي رأينا في لنينغراد متحفاً خاصاً به يشتمل على ما يمثل تاريخ حياته نحتاً ورسماً ٠

ويعود تأسيس هذه الجامعة الى سنة ١٧٥٥ (وعلى ذلك فقد احتفل بمرور ٢٠٠ سنة على التأسيس في أيار سنة ١٩٥٥) ولقد كان مقرها في المبنى الذي يشغله معهد الآداب الأجنبية الآن والكليات التابعة لها مبعثرة في أنحاء مختلفة من العاصمة ٠ وبوشر في بناء هذا الصرح الضخم سنة ١٩٤٩ وانتهى البناء سنة ١٩٥٣ وقد قيل لنا ان تكاليف البناء المذكور قد بلغ مليارين من الروبلات والمساحة التي تشغلها الجامعة ٣١٧ ألف هكتار ٠

ويرى الداخل الى باحتها الفسيحة جداً مبنى مركزياً له جناحان ووراءه عدة مبان ٠ فالجزء المركزي شاهق يشتمل على ٣٢ طبقة وارتفاعه ٧٨٧ قدماً (ويعد لذلك أعلى من أي مبنى في الولايات المتحدة ما عدا المباني الستة في مانهاتان Manhattan) أما جناحا المبنى المذكور فيشتمل كل منهما على ١٧ طبقة ، وحول هذه الأجزاء الثلاثة عدة أبنية للكليات والمختبرات ومرصد الجو ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا أدل على عظمة هذه الأبنية بمجموعها (وربما عدت أكبر جامعة في العالم) من أن ٥٠٠ مجموعة من الشركات قد اشتركت في إنجاز البناء وان فيها ١٠٠٠ قاعة للتدريس والاختبار وان مجموع سطح السقف فيها يبلغ ٤٢٠٥ هكتار وانه يقتضي لزيارة جميع الأمكنة فيها اجتياز مسافة ١٤٥ كيلومتراً ، وان مجموع طول الممرات التي فيها يبلغ ١١٠ كيلومترات .

ويزيد الدليل على ذلك ان ما تحويه من ١٢٠ ألف غرفة لو أتيح للوليد أن يبيت منذ ولادته ليلة واحدة في كل غرفة من الغرف في الجامعة لما انتهى قبل أن يبلغ الستين من العمر .

وللجامعة في الوقت الحاضر ١٢ كلية و ١٨٠ رئيساً للتدريس وعدة مراكز للبحوث العلمية ، وتحوي ٩ معاهد للبحوث بينها معهد سترنبرغ (Sternbug) الفلكي وحديقة النبات التي تعد أقدم حديقة من نوعها في البلاد .

وترتبط جامعة موسكو بوزارة التعليم العالي ولا ترتبط كلية الطب بها ، فيها زهاء ١٨٠٠٠ طالب[1] يدرسون على أيدي ٢٠٠٠ أستاذ ومساعد منهم ٣٠ أعضاء في المجامع العلمية .

وتعنى الجامعة بمزج التعليم النظري بالتطبيق العملي ، ويستهدف البحث في المختبرات ومراكز الاختبار البحث بكل ما يتصل بالاقتصاد الوطني . وفي الطبقة العليا من البناء المركزي قاعات متحف علم طبقات الأرض مع ما يحويه من معروضات تمثل الثروة المعدنية في البلاد .

ومن السهل الارتقاء الى الطبقات العليا والوسطى من هذا البناء الضخم بالمصاعد الكثيرة التي تخترق أرجاءه وعددها ١١٤ منها ما يصعد به حتى الطبقة ٢١ ثم يرتقي بمصعد آخر حتى الطبقة العليا . وبعد انتهاء الزيارة هبطنا بمصعد واحد حتى الأرض وكانت السرعة زهاء ٣٥٥ متر في الثانية .

(١) وقد ذكر لي الزميل الدكتور جبل صليبا أن هذا الرقم قد أصبح ٢٣٠٠٠ في هذه السنة (١٩٥٧) .

وتبلغ مساحة حديقة النبات ٤٢ هكتاراً في منتصف باحتها الفسيحة بناء ذو أربع طبقات لكلية الأحياء (Biology) وعلم الطفولة (Pedology) وتضم عدة مبان أخرى للبحوث وإنماء النبات والاقليم الاصطناعي ٠

وقاعة الاحتفالات على غاية من الترتيب والتنظيم تستوعب لـ ١٥٠٠، وزين سقف الممرات في الطبقة الأولى بصور مشاهير العلماء في العالم لاحظنا بينهم صور لبعض العلماء العرب وطبيعي أن يكون معظم العلماء ممن ينتمون بصلة الى الاتحاد ٠ وفي الجامعة ٤ مطاعم يستوعب كل واحد منها ١٠٠٠ و ٣٥ مقصفاً (بوفيه) وذكر لنا أن ثمن الوجبة من الطعام يختلف بين ٢و٥ روبل و ٥ روبلات ٠ والكتب المدرسية تعطى الى الطلاب بالمجان ٠

وإن مما خصص للطلاب من مساعدات ١٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية الآداب و ٢٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية التاريخ الطبيعي ٠ ولا يطلب من الطالب سوى دفع ٤٠٠ روبل سنوياً مع إعفاء أبناء مشوهي الحرب والمتقاعدين والفقراء من الدفع ٠

وإن من الطلاب من يتلقى عوناً مادياً يختلف بين ٢٥٠ و ٥٥٠ روبلاً في الشهر يرفع العون الى المتفوقين ٢٥ ٪ وعندما ينال أحدهم إحدى الدرجات يصبح العون المادي المذكور ٧٨٠ — ٩٠٠ روبل وإن في مكتبة الجامعة ٥ ملايين مجلدة وتعد في المرتبة الثالثة من دور الكتب للاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن المكتبات الخاصة لكل كلية أو مؤسسة ٠ وقد قيل لنا ان الطلاب الذين يدرسون في الجامعة ينتمون الى ٥٩ قومية [1] ٠ والانتساب الى الجامعة تابع الى مسابقة تعد فيها علامة النجاح ٣ من خمس علامات ، في جانب اختبار الطالب نفسياً واجتماعياً ٠

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) إن ما هو متبع في بلاد الاتحاد السوفيتي ان التعلم الابتدائي اللغة فيه هي اللغة المحلية لكثرة سكان تلك الجمهورية ، وفي المرحلة الثانوية يصبح التعلم بالروسية إلزامياً وكذلك في الجامعة . ومع ان لغة التعلم الابتدائي باللغة المحليـة فان كتابة كل اللغات إنما يكون بالأحرف الروسية وحدها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب النفس
لابن باجّة الأندلسي

- ١ -

١ - المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجّة [١] (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ش/١١٣٨م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشرّاح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا [٢] ، وأنه سابقٌ لابن رشد المعروف عند الأوربيين « بالشارح الفاضل » ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حق المعرفة ، ولم يُنشر من مؤلفاته الى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحّد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحّد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجّة محفوظة في مخطوطين عتيقين في خزانتي اكسفورد

(١) لترجمة ابن باجّة راجع بروكلمن (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضميمه ج ١ ص ٨٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلاميـة (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ سارطن (Sarton) : Introduction to the Hystory of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ ، والمقّري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودليانا ، نمرة ٣٠٦ پوكك ، Pock) لابن الإمام ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ ؛ ابن طفيل : حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه (Gauthier) ص ١٢٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بودليانا (اكسفورد) على أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلاتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بوساطة الأستاذ پال كالى (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية فغاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تعسّر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلا مخطوط واحد ، فإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بدّ من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عزمت على التحقيق لم أجد بدّاً من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٢٣ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدتها في مواضع أخرى ، وبذلت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتمّ ابن باجّة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلميذه العزيز الوزير أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الإمام[1] . وإنما وصلتْ كُتُب ابن باجّة إلينا عن ابن الإمام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجّة في مجلد ضخم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الإمام هذا النقص متأسفاً عليه[2] ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق مولر (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة ١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » .

ابن باجّة ومصنف قصة حيّ بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال :[١] «وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هي غير كاملة ومخرومة من أواخرها ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة» .

كتاب النفس — تأليف مستقل :

يذكر ابن باجّة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بألفاظ تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى بعبارة دالة على أنها شروح لكتُب أرسطاطاليس[٢] . فهذا التأليف تأليف مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتابَ النفس لأرسطاطاليس ، لا سيما الباب الثاني والباب الثالث منه ، في ترتيب المضامين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ، لا يكاد يستبعد أن يقال انه تأليفٌ لخصه ابن باجّة من الكتاب المشار اليه آنفا ، وأضاف اليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجّه في كتابه :

عُرف ابن باجّة في عصره بفصاحته في شعره ، وكماله في الغناء والموسيقى[٣] ، غير ان أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيـق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من الإغلاق والصعوبة . ولكن تلميذه ونديمه ابن الإمام يرى رأياً مخالفاً ، فقد نطق بفضله وبراعته في الإفهام والتفهيم ، وبحسن فهمه لكتب أرسطاطاليس[٤] . وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ممتنع في كثير من مواضع هذ الكتاب .

---

(١) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٢ — ١٣ .

(٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتبناه في كتاب النفس » ، ورقة ٣٢٠ ألف : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ ألف : « كتبناها في شرح الرابعة من الآثار » .

(٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، نشر بولاق ، ص ٥١٩ ؛ المقري : نفح الطيب ج ٤ ، ص ٢٠١ — ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) انظر الصفحة التالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجة ، يعدّ عبارته كلما ينشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجة ايضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأسهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأسف لعجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت (١) . فأحياناً نجد عباراته لا توافق قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤول جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وُليّ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط (٢) . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجة الأصغر ، حيث يقول (٣) : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيّناً إلا بعد عسر واستكراه شديد ، وان ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجة على معاصريه تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر ان ابن رشد كتب جوامعه أي جوامع

(١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢ م ص ٢٢ و ٢٣ ؛ تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، ص ١١٧ : « اثبت هذا القول في زمان متنمس بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تقصيراً عن افهام كنت اردت افهامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بيناً الا بعد عسر واستكراه شديد .... وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبديلها » .

(٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب : قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النفر وهو المعروف بالأديب .

(٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتيه ص ١٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبعت بأجمعها، سوى (كتاب الحس والمحسوس)، بحيدر اباد (هند) تحت عنوان «رسائل ابن رشد» بعد مجموعة ابن باجة التي جمعها ابن الإمام تحت عنوان «مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر محمد بن باجة الاندلسي» محتوية على شروحه على كتب أرسطاطاليس في الطبيعيات، والآثار العلوية، والحيوان، وعلى رسائل أخرى، ولذلك نجد مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة.

ولقد أقرّ ابن رشد نفسه في كتابه ـ تلخيص كتاب النفس [1] ـ بأوضح عباراته ـ أنّ كلّ ما بيّنه في بحث العقل هو رأي ابن باجة. ولكنه أحياناً ينتقد على ابن باجة في أفكاره، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما [2]. والفوائد الموضحة التي أضفتها إلى نصّ الكتاب بأسفل الصفحات قد تفصح عن قدر ما اقتبسه ابن رشد.

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجة، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين، فإنه يطلعنا على بعض مآخذ كتب ابن رشد ومراجعها، وأيضاً يملأ الفراغ بين الفارابي وابن رشد.

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع الميلادي [3] بالعربية، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة باستانبول، ولم تنشر بعد. وأعدّ الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب (الموجود باليونانية والعبرية)، وكتب الفارابي شرحاً عليه [4] ولم يعثر عليه

(١) تحقيق الدكتور الاهواني، ص ٩٠، وهذه العبارة غير موجودة في نسخة حيدراباد المطبوعة.

(٢) انظر رسائل ابن رشد، حيدراباد، ١٩٤٦، ص ١١٠.

(٣) الفهرست لابن النديم، تحقيق فلوجل (Flügel)، ليبسك ج ١ ص ٢٥١، تاريخ الحكماء للقفطي، نشر ليبرت (Lippert) ص ٤١.

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء، ص ٢٧٩.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحاً لثامسطيوس ، وسيمفليقيوس ما عدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية [١] . والذي يتراءى أن ابن البطريق أوّل مَن كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة باللغة العربية ، وهي تحت ثاوفرسطس (ص ٢٥٢) ، الاسكندر الافروديسي (ص ٢٥٣) [٢] ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلوطرخس (ص ٢٥٤) [٣] ، وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطّلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين » ، والظاهر انه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كُتب ، كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرتُ على عدة نسخ منها في مكتبة بودليانا [٤] ، والمتحف البريطاني ، ونشرتُ مقالةً ، فيها قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي البريطاني بلندن [٥] .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص العربي الذي أشرت اليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجّة له مزية أخرى من ناحية التقدم ، فإنه أوّل نصٍّ يلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة لكتاب النفس لأرسطاطاليس .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١ .

(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .

(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .

(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ous 95) ورقة ٤١ ب – ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة : « تمام شد مقالهٔ سيوم وبتمامی آن كتاب نفس منسوب بارسطاطاليس دروقت غروب خورشيد روزيكشنبه . . . . ورقم بتاريخ شهر جادى الثاني سنة ١٠٣٩ – ١٦٦٩ ، والحمد لله رب العالمين . . . . . . »

(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936

والعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافروديسي ، وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ما سرده ابن الامام ، تلميذه الرشيد ، تقدمة لمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس وكانوا معترفين بفضله ، حيث يقول[1] (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلّم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، ودوّنا فيها ، بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين يمتاز به أقاويلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النفس وقواها :

يعرّف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرّفها أرسطاطاليس ، بأنها استكمال أوّلي لجسم طبيعي آليّ ، ويفصّل القوى الثلاث للنفس ـ الغاذية والحسّاسة والمتخيلة ـ ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك . والنفس عنده من المتفقة أقوالها ، فلهذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة . وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وانما يتعلق فحصه عن النفس ، بالجملة ، بنفس الحيوان .

القوة الغاذية :

القوة الغاذية عُرفت بأنها استكمال أوّلي للجسم الآليّ المغتذي ، وتساعدها قوتان ـ النامية والمولّدة .

(١) وهذه العبارة نقلها أيضاً ابن ابي اصيبعة في طبقاته : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ .

فالغاذية تعد من الغذاء في المغتذي ما يستعمل لحفظ البدن ونموه وآخر للتناسل . وكما أن الغاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المغتذي، تصنع المولدة في البدن جسماً من نوعه، وتولده .

ولما كان محرك المولدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولد إلا من نوع بدنها . وهذا التناسل قد يكون عن «محركاتٍ أُخَرَ مثل العفونة في الحيوان الذي يتكون عنها» .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أوّلي لجسم آليّ حاسّ، وهي تدرك الصور المحسوسة، ولها حواس، ولكل حاسة آلة، فلهذا يقول ابن باجة انها النفس [١] . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوة المحركة التي أشار اليها [٢] ولكنه لم يفصل عنها، هي، في ظني، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجه في رسالة مستقلة، وقد بيّن فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى، وهي النزوعية بالخيال، والنزوعية بالنفس المتوسطة، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركتان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحرك الى المكان والأشخاص والالف والعشق، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الانسان فقط [٣] .

(١) راجع النص : والحس التي هي الحواس بيّن من امرها انها أنفس .

(٢) أيضاً : والسابعة هي القوة المحركة .

(٣) راجع مخطوط بودليانا، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما ان تكون جنساً لثلاث قوى، وهي النزوعية بالخيال، وبها يكون التربية للأولاد والتحرك الى اشخاص المكان والالف والعشق وما يجري مجراه، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها اشتاق الغذاء والديار، وجميع الصنائع داخلة في هـــذه، وهاتان مشتركتان للحيوان، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعلم، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له[١] ، وعلى غير منوال ابن سينا[٢] ، ابن باجة لا يصف الحواس قط بأنها «ظاهرة» أو «باطنة» ، ولا يذكر «المصورة» وإن نسب «الحفظ» للحس المشترك[٣] .

وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس؟ فانه يبين ، تباعا لأرسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة مخازة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة ههنا هي نسبة تخصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الخواص الهيولانية .

القوة المتخيلة :

قوة التخيل هي استكمال أولي لجسم متخيل آلي ، والمتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تخدمها بتقديم المواد إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنهما نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام .

والقوة المتخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .

والحاصل أن النفس ، كما بيّنها ابن باجة نفسه[٤] ، هي القوة الفاعلة ، لما

---

(١) رسالة الفصوص ، نشرها ديتريصي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical Abhandlungen, 73, 74 . وقد أثبت خليل الجر (Khalil Geor) في مقالته في Revue des Etudes Islamique, 1941 — 46, 31 — 39 أن نسبة الرسالة الى الفارابي خطأ ، وانما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء مخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ، وفضل الرحمن : Avicenna's Psychology

(٣) النص

(٤) مخطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فان النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس يقال على نحوين كما تلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعلة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبع مزدوج ، فحينا يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفعلة . وحينا يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أضحت الثنائية «المادة والصورة» و «المحرك والمتحرك» و «الفعل والانفعال» ، و «الأول والأخير» ـ وهي مزية معروفة لفلسفة أرسطاطاليس ـ أصلاً طبيعياً لسائر الحجج التي سردها ابن باجّة في هذا الكتاب .

ويقول ابن باجّة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها «موهبة إلٰهية» بها تبصر النفس الناطقة «الموهبة» نفسها كما انها «ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس» [١] ، وقال في موضع آخر : «إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال» [٢] .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً «النفس النزوعية» و «الوقوف على العقل الفعال» ، و «ماهية الشوق الطبيعي» وغيرها ، وفيها بيّن أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومسائل أخرى .

فأخذ ابن باجّة يوضح علم النفس على منهج أرسطاطاليس وانتهى أخيراً إلى مسئلة النبوة كما وصل اليها ابن سينا ، وكما فصلها الإمام الغزالي في رسالته

(١) ايضا ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك المعقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويبصر بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه الخ . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متفاوت بحسب ما يعطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة . . . . . .

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون . . . . . . كتبه ورسله والدار الآخرة ايماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بتلك الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام[1] .

والتزمتُ في الشرح بجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة ارسطاطاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولعدم مهارتي بالإغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً لكتب أرسطاطاليس التي نُشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح . ا . ر . جب (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريجرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندن برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناء في تصحيح الكتاب وما علقت عليه من التعاليق ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلهؤلاء جميعاً عاطر الثناء .

* * *

(١) ايضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق لصوفية المستمدين للقبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة اولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم .
ورقة ١٢٤ ب : وانظر مع نظرك في مقالات الخير في عيون المسائل ، ثم في قول ابي حامد تجد الكل من نمط واحد والكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق . . . . .
ورقة ١٢٥ ألف : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوة فانه يعتقد ان الأول فطّر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان ينفعلوا ، وانظر إلى قول ابي نصر في عيون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأشياء إليه من حيث انه مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة . . . . .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — المخطوطة

كتاب النفس لابن باجة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم پوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها «مجموعة من كلام الشيخ الإمام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه» ، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة «٣ ٣/٤" × ٧ ١/٢"» ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكاتب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن النضر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٤٧هـ.ش. (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الإمام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠هـ.ش. (١١٣٥ م) [١] — أي قبل موت ابن باجة نفسه بثلاث سنين . فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٣٣هـ.ش/١١٣٨ م ، أي بعد

ARCHIVE

---

(٢) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :

«وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت مامثاله : قابلت بجميع ماقي هذا الجزء جميع الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل التقي عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير ابي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام السرقسطي وهو ينظر في اصله المنبوه به من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفلك في زمانه ابي بكر محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة قراءة بقراءة على المصنف باشبيلية والعزيز المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأد لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخرة اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، نسأل الله سبحانه علماً نافعاً في الدنيا والآخرة إنه على مايشاء قدير .»

٥٣٠ هـ ٠ ش ٠/ ١١٣٥ م ، لا في سنة ٥٢٥ هـ ش / ١١٣٠ م كما زعمه بعضهم [١] ٠

وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى توثق التاريخ الأول وتدل على أن الكاتب الحسن بن النضر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع الأول سنة ٥٤٧ هـ ٠ ش / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : قابلت جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحد الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام وكمل بقوص في سلخ شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة ، و كتب الحسن بن النضر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » ٠

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلورت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ، تاريخ كتابتها الجمادى (الأولى) سنة ٦٧٠ هـ ٠ ش ٠/ ١٢٧١ م ٠ هذه النسخة تمتاز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجّة في الطب والأدوية والنجوم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون التي خليت منها نسخة بودليانا ٠ وفي تحقيق أهلورت (Ahlwardt) هذه النسخة مبنية على نسخة ابن الإمام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات في المنطق ٠ وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن ٠

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة من ورقة ٠ (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، اثر Wüstenfeld ج ١ - ٧ ، نمبره ٦٨١ (1835) ٠

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسخي إلا أنها كانت أحياناً غير منقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والأسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتيسر للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة مملوءة بالأغلاط النحوية التي صيرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان [1] .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين بلاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسختين [2]) بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فان فُقد لفظ في نسخة أحياناً ، زيد لفظ في الأخرى [3] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأستاذ المذكور [4] ،

---

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الاندلس ، ميدرد Al-Andalus 1940, 42, 43 .

(٣) مثلاً « النزوعية » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة اكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة المتمنية » في موضع « القوة المنمية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ص ١٢ ؛ ايضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « فان كان النبات ذكر وانثى فانما يجب ان يكون ذلك في المتميزة فقط فأما ما ليس بتميز . . . » وقرأنا « الثمرة » و « بثمر » في الموضعين ، في نسخة اكسفرد : « المتميزة » و « بثمر » .

وقد ترك أيضاً بعضاً من الألفاظ سهواً [١] . وأما (تدبير المتوحد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الوُرَيقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوب (D. M. Dunlop) فانه مثلاً، قرأ «التشكيك» «تشكيلاً» ، و «المشككة» «مشكّلة» . وهكذا قرأ «المهين» موضع «المهن» ، و «رؤف» موضع «ردف» ، و «لمتين» موضع «لمذين» ، و «لذلك لا يرد ، والجمهور» موضع «ولذلك لا يردف الجمهور» ، و «الأمور الحربية» موضع «الأمور الجزئية» [٢] .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلاط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان بخط ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلاط في النص وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعتها بين قوسين هكذا : < . . . > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سدّ هذا الفراغ في كثير من المواضع الخالية . ورغماً عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عتيقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرطوبة التي لحقتها ، وعندما فرّقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأسرها ، فالعبارة

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

---

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ص ١٢ : السطر الأخير : «فاذا يكون حينئذ انساناً بالقوة» ، في نسخة اكسفرد «بالقوة الفكرية» (ورقة ٢١٦ ب) : ١٩٤٣ ص ٣٧ : «وذلك في اليسار فيكون كالحاكم» وفي المخطوطة : «. . . فيكون كملك كالحاكم» ؛ ص ٤٠ : «إذ هو منقسم» ، في المخطوطة : «إذ هو جسم منقسم» .

(٢) انظر J. R A. S. 1945. p. 64

بقيت ناقصة لا يتضح معناها . لقد أثبتُّ هذه العبارات بعد جهد بليغ ومقابلة بعبارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة ووضعتها بين قوسين شكلها هكذا : [.....] .

ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى ما نشره الأستاذ المرحوم آسين پلاسيوز من كتاب (تدبير المتوحد) ، (كتاب النبات) ، (رسالة الوداع) ، (ورسالة اتصال العقل بالانسان) ، وأما ما كتبه أوكلي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحي بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجّة حققه ونشره الأستاذ ادورد پوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة [1] ، إذ لم ينشر الأستاذ پوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحي بن يقظان اللاطينية التي سماها (المقدمة) Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين) ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Autodidactus [2] ، وما ادّعى قط أنه فعل هـذا .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

جامعة داكا ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧

---

(١) انظر ترجمة حي بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٠٥ ، ص ٨ في أسفل الصفحة .

(٢) اكسفرد ، ١٦٧١ ، ص A 2 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعريف والنقد

المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر في أكثر من (٥٥٠) صفحة بالفهارس

كنت قبل هذا بمدة، كتبت تقريظاً نقدياً للجزء الأول من هذا الكتاب القيم، الذي نشره الأستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف، ونوهت بعمله العظيم، وأشرت الى بعض المآخذ، وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأيه في قراءتها أو هو لم يتنبه الى تصحيحها، من غير أن أغفل مطلقاً عن الاعتراف بجهوده الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشيبة من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن.

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني، وكنت متشوقاً لظهوره، ولكني لم أستطع قراءته متملياً مستفيداً، لما كنت منهمكاً فيه من الأعمال والتبعات، حتى أمكنتني الفرصة الآن، وقد تخففت من تلك الأعباء الثقال، فكان هو من أول الكتب التي سارعت الى منادمتها والاستمتاع بها. ولا أكذب القارئ أنني زدت إعجاباً وتقديراً لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقاً منه في الجزء الأول أم أن تجربة ثلاث سنين [1] وخبرتها مما اللتان جعلتاني أقدر أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي أكثر من ذي قبل.

وعلى هذا السنن العلمي اللاحب، أردت أن أتمم ذلك التقريظ - ولا خير

(١) انشر تقريظ الجزء الأول في ج ٤ من مج ٢٩ من هذه المجلة الصادر في اكتوبر ١٩٥٤ (ص ٥٨٠ - ٥٩٣).

في تقريظ لا يكتب بروح نقدية ـ بالتنبيه على بعض الهنوات ولا أقول الهفوات ، فانني أؤكد أن بعض الكلمات التي ينتبه اليها القارئ هي في الغالب مما يغفل عنه الكاتب ، فلا يكون إهمالها من باب الخطأ الذي يلزم المؤلف . وهي لذلك عندي من الهنوات التي لا مصدر لها ، لا من الهفوات التي تؤخذ على الكاتب . . ومن الطبيعي أن أغض الطرف عن بعض الشكلات التي تزحلقت عن محلها ، أو وضعها الطابع غلطاً على غير وجهها ، فان من سبق له أن نشر كتاباً أو مقالاً أو قصيدة فيها بعض الشكل لا بد أن يكون قد صُدم ببعض هذا التغيير . وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون به المؤلف ، ولكنهم أحرياء أن يعرفوا من سياق العمل أن مثل هذا المؤلف أو ذاك ليس ممن يجهل أن الفاعل مرفوع وأن مضارع الثلاثي غير مضموم الأول الخ ، وهكذا نحن لم نتتبع شيئاً من الهوس الذي يتورط فيه بعض الكتّاب .

ولا أحتاج أن أقول . . انني بهذا التنبيه انما أتعاون مع حضرة الناشر على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به في الجزء الأول من التقريظ والنقد ، عناية بهذا الأثر النفيس الذي كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه . ولذلك أزف من جديد عرائس التهاني للدكتور شوقي ضيف على توفيقه وتبريزه في خدمة الأدب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه الله وأدام النفع به . وهذه هي تلك الهنوات المشار اليها . .

وقع في ص ٨ ضبط كلمة موسطة بفتح الميم والسين . ونص العبارة التي جاء فيها « وهي في الاقليم الخامس موسطة » ، والضمير يرجع الى مدينة طليطلة . وأظن أن هذه الكلمة وقعت في الجزء الأول بهذا الضبط أيضاً . وكنت توقفت فيها . ولما كنت بعيداً عن منزلي ومكتبتي لم يمكني تحقيقها . وبمقتضى ما ذكره اللغويون من أن فعل وسط هو من باب وعد يظهر لي أن حقها أن تكون

بكسر السين .. على أن صاحب القاموس ذكر أن موسط البيت بوزن مكرم هو ما كان في وسطه خاصة فليحرر .

وفي ص ١٦ عن أبي الخطاب الشاعر : « وكان في صلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الأفطس » . ولعل الصواب : وكان في جملة الفضلاء ... وفي ص ٢٣ :

أعلل نفسي بالمواعد والمنى وما العيش واللذات إلا محمدُ
بذاك صبا عقلي وهاج لي الجوى ولم يسبه حورٌ أوانسُ نُهد

وأظن أن صواب كلة بذاك .. فذاك بالفاء .

وفي ص ٥٢ : « وكان (ابن همشك) يُردي أهل الجنايات من حافّة عظيمة » وضبط الحافة هنا بتشديد الفاء ، والصواب تخفيفها فان الحافة جانب الوادي مخففة . ولعل الضبط خطأ مطبعي .

وفي ص ٦٧ ما نصه : « لا يعدم مال الكريم غارة من الأفضال (تسن) ، وعادة من الاحسان تسن » ويجب إعجام السين من (تسن) في الفقرة الأولى . وهو تطبيع .

وفي ص ١٠٣ : « ونهرها الكبير (يعني غرناطة) يقال له شَنّيل » بفتح الشين والنون مع تشديدها ، وتكرر هذا الضبط في شعر ورد في نفس الصفحة . وعلى ما يظهر لي ، يجب أن يكون كل من الشين والنون في هذا الاسم مكسوراً ؛ أما الشين فلأنهم قد يكتبون هذا الاسم بزيادة ياء بعده هكذا : شينيل ، ومعلوم أن اشباع الكسرة يولد الياء . وقال ابن زمرك في إحدى قصائده التي يصف بها بعض مصانع غرناطة كما في نفح الطيب :

يا قصر شينيل وربعك آهل والروض منك على الجمال قد اقتصر

وأما النون فلأنهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل النكتة الأدبية ، أن نهرها شنيل يعدل بألف من نيل مصر لأن عدد الشين في حساب الجُمَّل ألف . فاذا قلنا شنيل فكأنما قلنا ألف نيل . ومقتضى هذا كسر النون كما لا يخفى . ويسمي الاسبان نهر شنيل Genil على عادتهم من قلب الشين العربية خاء في

بعض الأسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة على الشين والنون معاً .

وفي ص ١٠٤ من موشح :

ورسولي قد تعرَّف منه بما أدري تَعرُّف

ولإقامة الوزن يجب حذف الباء من قوله بما .

وفي ص ١١٧ :

لا تلُمني بأن طربت لشدوٍ يبعث الأنس فالكريم طروبُ

ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أن تشق القلوب

وقد ضبط اللام في لا تلمني بالفتح ، ولا شك أنه خطأ مطبعي وأن حقه الضم .

أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه أن يكون هكذا : ليس شق الجيوب حقاً علينا . ولا يحسن نصب شق ورفع حق لأن الأول هو المحكوم عليه .

وبعد كتابة ما ذكر رأيته كما ذكرتُ في نفح الطيب .

وفي ص ١١٩ في التعليق : « وذكر ابن ذاكور في شرحه على القلائد » والصواب ابن زاكور بالزاي . وأظنني نبهت على هذا في الجزء الأول .

وفي ص ١٤٤ :

أنت الهوى لكنْ سلواي الهوى قصد ابن معن والحديث شجونُ

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما يدل عليه ما بعده ، والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص ١٥٦ :

عليك لنا فضلٌ ومنٌّ وأنعم ونحن علينا كل مدح مُحَبَّر

وأعرف أنها مُحبِّرُ ، وقافية الشعر مضمومة فهو الذي يناسبها بغير تكلف .

وفي ص ٢٢٥ : « ولهم فيه غُل عظيمة » بضم الغين ، والصواب كسرها .

وفيها عن الكاتب ابن طاهر : « أخبرني والدي أنه لم يزل مع الملك المذكور عثمان بن عبد المؤمن في عز ونعمة ، إلى أن وقع له على رسالة بعثها الى أخيه أبي جعفر بن عبد المؤمن ملك اشبيلية فنار وسمَّه فمات » الخ . . وقد ضبط فعل وقع

بالتشديد من التوقيع، وأظن أن سياق القصة يعطي أنه بالتخفيف من الوقوع بمعنى العثور، أي أنه عثر له على هذه الرسالة التي يخاطب بها أخ مخدومه، يريد أن يلتحق به، فثار مخدومه وقتله.

وفي ص ٢٣١ :

وان أحمدَ في الدنيا وان عظمت لواحد مفرد في عالم أمم

بفتح همزة أمم وأظن أن الصواب ضمها، ولعله تطبيع.

وفي ص ٢٥٣ :

اربأ بنفسك أن تكون متابعا ما الحر إلا أن يُومَ فيَتْبَعُ

ببناء يوم للمفعول فهو بمعنى يقصد، وظهر لي أنه ربما كان يؤم على صيغة المبني للفاعل من الإمامة وتأتي كلمة يتبع بعده أكثر تمكناً وأقرب مناسبة.

وفي ص ٢٥٥ :

الزُّ بزَّ القفـا وخلعتـه فاخلع علينا من ذلك البزّ

وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على أنها فعل ماض، والصواب رفعها على أنها اسم بدليل عطف وخلعته عليها، ولا معنى لفعل بزّ هنا، وربما (ورب للتكثير) كان ذلك الضبط تطبيعاً.

وفيها ضبطت كلمة (وتهت) بضم التاء وهي من تاه يتيه، فحقها الكسر، ولا يبعد أن يكون ذلك خطأً من الطبع.

وفي ص ٢٦٧ :

ثماني خصال في الفقيه وعرسه وثنتان والتحقيق في الا (مرشيق)

وهذا من شعر البكّي الشاعر الهجّاء المشهور. ووضعُ الناشر الفاضل الحروف الأخيرة في البيت بين عقفتين يدل على أنها لم تثبت بالأصل وأنه هو الذي تمم البيت بها. وقد جاء البيت تامًّا بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان ابن ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثماني خصال في الفقيه وعرسه وثنتان والتحقيق بالمرء أليقُ

ومن أبيات القطعة في المغرب :

ويكذب أحياناً ويحلف حانثا ويكفر تقليداً ويرشى و (يحمق)

هكذا بتتميم الناشر ، والبيت في زاد المسافر هكذا :

ويكذب أحياناً ويحلف حانثا ويكفر تقليداً ويزني ويسرقُ

وفي الصفحة بعض اللحن في بعض الأبيات الأخر ، ونظن أنه من خطأ الطبع .

وفي ص ٢٦٩ :

وصارم أبصرت ذي فلْـكةٍ فقلت يا صارم من فلَّـكا

فقال لي لحظ غلام رنا ونهد عذراء كما فلّكا

وقد ضبطت فلكا الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها للفاعل ، يقال فلك ثدي الجارية وتفلك . وما نظن الشاعر أتى بالبيت الأول إلا لاصطياد هذا الجناس الكامل ، فلا يصرف عن قصده .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٢٧٧ : ذكر ابن سعيد في ترجمة أبي الحسن جعفر بن الحاج أنه هو والد أبي محمد عبد الحق الذي ارتضاه أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض .. وفي الصفحة قبلها ذكر في ترجمة أبي محمد هذا أن اسمه عبد الله .. ولم يحقق الناشر الفاضل في ذلك ، مع أنه أحال على مصادر كثيرة لترجمة أبي الحسن بن الحاج هذا ما بين خطية ومطبوعة . وبما أن الخطية التي أحال عليها ليست بيدنا فاننا أيضاً لم نستطع أن نقول كلمة فاصلة في الموضوع ، لا سيما والضبي في البغية وابن الابار في المعجم يسميان هذا الولد اسماً ثالثاً هو عبد الرحمن .

وفي ص ٢٧٩ ورد هذا البيت :

رويداً فلي قلب على الخطب جامد ولكن على عتب الأحبة دائبُ

بالدال المهملة في دائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام هذه الدال ، فكلمة ذائب هنا واقعة في مقابلة جامد من عروض البيت ، ولا معنى للدؤوب على معاتبة

الأحباب بل المقصود ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة سقطت من يد المنضد فيما نعتقد ، ولكنها نقطة هي مركز الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي ص ٢٨٧ جاء هذا البيت :

وما هو غير أن أدعى وحسبي حيا الإخوان أو موت الأعادي

بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه النصب . والشاعر يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت كما في البيت قبل هذا ، وما مراده إلا ما ذكر . وفيها أيضاً هذا البيت :

أنكرت ان راع الزمانَ أدبي وهل رأيت ذا نعى مؤمِّنا

بنصب الزمان ، والصواب رفعه لأنه هو الفاعل الرائع .

وفي ص ٢٩٨ هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويديمتي بها فُريخاً وآوتني قرارتُها وَكرا

وفيه تصغيرُ قادمة على قويدمة بزيادة الياء ، ولا تصح هذه الزيادة نحواً ولا عروضا .

وفي ص ٣٠٢ وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمراً كأنها صدورٌ حسانٌ مسهنّ عبيرُ

وقد نونت فيه صدور وحسان على وصف للصدور ، وأملح من ذلك أن تضاف صدور الى حسان لتفيد أن هذه الصدور لغوان حسان لا مطلق صدور حسان قد تكون على حسنها لرجال خشان .

وفي ص ٣٠٦ جاءت هذه العبارة : « إنه ما اختلف الليل والنهار إلا بنقص وامرار » هكذا بالصاد في نقص وأظنه بالضاد .

وفي ص ٣١٠ أبيات في النوار المعروف بالخيري ويقول له العامة عندنا الخبلي ، منها :

لك الخير أتحفني بخيريّ روضةٍ لأنفاسه عند الهجوع هبوبُ

أليس أديبُ النور يجعل ليله نهاراً فيذكو تحته ويطيب

والمقصود قوله أديب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ، لا بالرفع كما ضبط في الكتاب ، والشاعر يشير بذلك الى قولهم الليل نهار الأديب .

وفي ص ٣١١ من قصيدة في وصف بحيرة بلنسية :

اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيع كل حسن من الزهر

هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن ، وبيان ذلك بقوله من الزهر ، ويظهر لي أن صواب هذا البيت هو كما يلي :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيعٍ كلَّ حين من الدهر

والضمير في بها يعود للبحيرة ، فهي ، كما قال المؤلف وردد ذلك الشاعر في أبيات أخرى ، تكسب بلنسية جمالاً طبيعياً وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائماً في فصل الربيع . وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب نعاماها فيفغم أنفنا بأنفاسنا الملذوذة البردُ في الحرْ

وقد ضبط فعل يفغم بالبناء للمجهول وأنفنا مرفوع على أنه نائبه ، ثم ضبط البرد بعلامة الرفع أيضاً . ولا شك أنه بعد أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد بالإضافة الى ما قبله إضافة لفظية . فإن أردنا أن نرفعه فعلينا أن نبنيَ فعل يفغم للمعلوم وننصب أنفنا على أنه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلاً مرفوعا .

وفي ص ٣١٢ يقول الشاعر في صفة مذانب ماء ، من أبيات :

كالنصل إلا أنه لايُشتَقى كالظل إلا أنه لا يُرهَبُ

ولا شك أن الظل هنا محرفة عن الصل بالصاد وهو الحيــة الخبيثة بدليل قوله لا يرهب ، وتشبيه الماء الجاري بالصل معهود عندهم .

وفي ص ٣١٤ حكاية عن ابن عائشة الشاعر أنه كان يوماً مع ابن خفاجة وجماعة من الأدباء تحت خوخة منثورة فهبت ريح صرصر ، أسقطت عليهم زهرها .. الخ . ، وظاهر أنها خوخة مُنوَّرة لا منثورة .

وفي ص ٣١٦ وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي ، وهو منسوب إلى ذي الكلاع بفتح الكاف من أذواء اليمن ، فضَمُّ الكاف كما في الكتاب خطأ .
وأثبت له المؤلف أبياتاً في مشط فضة ، منها هذا البيت :

مُشط الحسان بعظم ظلم لعمري عظيمُ

وقد ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى ، والمراد هنا الفعل بدليل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن فتح أولها .

وفي ص ٣١٩ هذا البيت :

فبتُّ لا حالُهُ كحالي ضجيعُ بدرٍ صريعُ سكرِ

برفع اللام من حاله ، وصوابه لا حالَه .

وفي ص ٣٣٩ هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسفاً أزرى بحسن الذي آمن في الجُب وقوع الهلك
قطعت أيدي نساه له فكم قلوب قطع الناس لك

ويظهر لي أن آمن صوابها أمن ، وأن البيت الثاني سقط من أوله حرف الشرط والتقدير إن قطعت ، وذلك ليتزن ولتكون الفاء من فكم واقعة موقعها من الجواب .

وفي ص ٣٤١ بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللنق يا غزالي يا صاحب العينين الكبارِ

وقد ضبط اللنق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين النون والقاف معاً ، وأظن أن الصواب تشديد اللام مع الضم وتسكين النون ورفع القاف ، أولاً — لأنه بتسكين القاف يختل وزن البيت . وثانياً — لأن اللنق لقب هذا الموصوف وبه يعرف ، فحقه أن يكون تابعاً في الإعراب لمحمد . وإنما قلنا إن اللنق لقب ، لأن هناك من أعلام الأندلسيين من يعرف باللونكو ، فالغالب أن اللنق الذي نحن بصدده هو تعريب له . وانظر هل تكون هذه الكلمة (اللونكو) مأخوذة من Long الفرنسية بمعنى الطويل ؟ .

وفي ص ٣٦٨ ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب مريضة والبرق يرقى والغمامة تنفث

وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرُّقِيِّ وهو بالكسر من الرُّقْيَة كما لا يخفى بدليل ما بعده .

وفي ص ٣٧٤ هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت إلا بقلبي ظعينةٌ ولا حملت إلا ضلوعي هودجا

والظعينة المرأة المسافرة في الهودج فهي الراحلة بقلبه وهي الفاعل برحلت ، فحقها الرفع لا النصب كما ثبت في الطبع .

وفي ص ٣٧٦ جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد : «وكانت عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد » وقد توقفنا في مناهل هذه ، لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح المعنى أيضاً معها . ورجعنا الى القلائد فاذا بها : مشاهد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٣٨٦ في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض الأعيان وهب له نصيبه من السقيا في يوم ما ، فسقى جنته ، وجاء في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه يستسقيه خمراً هذين البيتين :

سقيت أرضي بفيض ماء فاسقِ ضلوعي بفيض راح

واترك جفاي يذهب جفاء واخفض جَناحاً على جُناحي

وقد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله : « هكذا الشطر في الأصل » . وأظن أن هذا الشطر واضح لا غبار عليه ، فان الشاعر أحس بقلة الذوق في كثرة السؤال فاعتبر ذلك جَفاء وعدمَ بر ، فقال لمخاطبه المسؤول : « واترك جفاي يذهب جفاء » أي غثاء كغثاء السيل مما لا يعتد به ، قال تعالى : «فأما الزبد فيذهب جفاء » فجَفاي بفتح الجيم وجُفاء بضمها ، وهما كذلك عند الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفاء جاءت في الكتاب مضمومة ، وهو خطأ

مطبعي لا شك فيه ، فظهر أن الشطر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه ، نعم في قوله جفاي زحاف يمكن تجنبه بجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند الشاعر .

وفي ص ٤٢٩ هذا البيت من قطعة :

مروا كاقتداء الطير لا الصبر بعدهم جميل ولا طول الندامة ينفعُ

ولم أفهم لاقتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (قلائد العقيان) التي أحال الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه الكلمة ، وقد وقع في وهمي أنها ربما تكون محرفة من اغتداء بالغين ، والمعنى أنهم مروا بكرة كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطانا » فهذا هو اغتداء الطير . وفي شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بلدة ونكرتها خرجتُ مع البازي ، عليّ سوارُ

وفي ص ٤٤٥ ثبت هذا البيت :

وحقك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أزكى شهابه

بالزاي في أزكى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكون بزاي أزكى ، والذال المعجمة كثيراً ما ترد في مطبوعات الشرق زاياً ، لأن بعض إخواننا الشرقيين ينطقونها شبيهة بالزاي تماماً .

وفي ص ٤٥٠ ورد هذا البيت :

ثمرات الأنس ترتاد عندي وهي من روضك تجنى وتجبى

بكسر همزة الأنس وحقها الفم ، وبفتح تاء ترتاد وحقها الفم أيضاً . وفي الصفحة التي بعدها هذان البيتان :

أخطأت في بر الذي لم ترعه وغدا يلاحظني بمقلة ساخر

إن التواضع للذي يعتـدُّه ضعة لجهـل ماله من عاذر

وترعه لا شك أنه تصحيف صوابه يرعه ليبقى الكلام كله على الغيبة في غاية الانسجام .

وفي ص ٤٦٢ وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعـد ولله دره وقد حيل بين العير والنزوان

وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لأنه من البَعَد بفتحتين بمعنى الهلاك ، لا من البُعد بالضم ضد القرب ، وبعض اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .

وفي ص ٤٥٤ ورد هذا المقطع من موشح :

بي جوى مضمر ليت جهدي وقفه
كلما بذكى ففؤادي أفقه
ذلك المنظر لا يداوى عشقه

وصواب بذكى كما لا يخفى بذكر وهو خطأ مطبعي ، وذكر المحقق الفاضل أن هذه اللفظة وقعت في رواية دار الطراز يظهر و يا ما أحسنها هنا ...

وفي ص ٤٦٢ من قطعة في عدم الاعتداد بالأحساب والأنساب إذا لم يكن صاحبها ذا مال :

فحرام المجد والعلم إذا لم يكن عندك شيء من ذهب

وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها في الأصل حرام .. ولا شك أن الفاء التي زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن . ولكن صواب الكلمة هو ما كان في الأصل ، على أن تقرأ : حِرُ أمِّ المجد والعلم ... بكسر الحاء وضم الراء من حر مع إضافتها للفظ أمّ ، وغير خفي ما يقصد بذلك من الفحش والإزراء .

وفي ص ٤٧٠ من بيتين في وصف الخيل :

هي العجور ولكن في كوائبها عند الكريهة منجاة من الغرق

والمراد بكوائبها أعاليها لا أسافلها كما فسرت في التعليق على أن المراد بذلك أرجلها .. وفي الحديث يضعون رماحهم على كوائب خيلهم ، قالوا هي من الفرس مجمع كتفيه قدام السرج . ويرشح هذا المعنى أن الشاعر جعلها منجاة من الغرق ، شأن من يجتنب الغرق أن يطلب العلو لا السفل .

وهنا ننتهي من هذه الملاحظات التي نرجو أن لا نكون أوغلنا فيها حتى أسففنا وسفلنا، على أننا قد تركنا بعض الكلمات لم يخامرنا شك في أن خطأها من باب التطبيع . . وأما قبل وبعد فإن قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم، ولو بجزء من ألف، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل، فليقبل منا جنابه هذا التطفل على عمله العظيم مع أصدق التحيات وأخلص التقدير .

عبد الله كنون

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف العماد الأصفهاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١ —

لا يزال المجمع العلمي العربي بدمشق دائباً على إخراج التراث العربي القديم الزاهر بنشره رسائله ومخطوطاته، في اللغة والنحو والأدب وتاريخ الأدب، ومن مآثره في هذا المجال إخراجه الجزء الأول من القسم الثاني لشعراء « خريدة القصر وجريدة العصر » للأديب الطائر الصيت قديماً وحديثاً « عماد الدين الاصفهاني الكاتب »، وقد أسند تحقيقه إلى الدكتور الأديب المحقق « شكري فيصل » وهو أهل لثقة المجمع العلمي العربي في ذلك وأمثاله، فحققه بطريقة ذات على سلامة بحثه وبراعته فيه، وطول باعه في معالجة هذا الكتاب العسير النشر والتحقيق، وهو لا يزال في عنفوان شبابه، وقد طالعت هذا الجزء مستفيداً مستجيداً، ولم يستوقفني فيه استيقاف الرائث، عن المسير في الدمائث، إلا أشياء يسيرة أنا ذاكرها على الترتيب فأقول :

١ – جاء في ص «٣٠» قول الشاعر الغزّي :

مثقّف الأصل الظمآن تُرجمهُ درعُ الكميّ حطياً دونَ مرتشفهْ

بجعل «ترجمه» رباعياً، والفصيح الذي هو لُغة القرآن «تَرْجِعهُ» بفتح التاء، قال الجوهري في الصحاح : «رجع[1] بنفسه رجوعاً فرجَعهُ غيره، وهُذَيْل تقول أرجَعَه. وقوله عز وجلّ : (يَرجِعُ بعضُهم إلى بعضٍ القولَ) أي يتلاوَمُون». وقال الفيومي في المصباح المنير : «رَجَع من سفره وعن الأمر يرجع رجعاً ورجوعاً ورُجعى ومَرجعاً. قال ابن السكيت : هو نقيض الذهاب، ويتعدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال : رجَعْتُه عن الشيء وإليه، ورَجَعْتُ الكلامَ وغيره أي رددته، وبها جاء القرآن قال تعالى : فإن رَجَعَكَ اللهُ. وهذيل تُعدّيه بالألف».

فالفصيح هو الثلاثي ولم يكن الغزي الشاعر هذلياً فيصحَّ أن تنسب اليه لغة هذيل.

٢ – وورد في «ص ٢٤» قول الشاعر الغزي أيضاً :

ولو حصل الإنجازُ لم يبق مطمع وَجودُ اشتعال النار داعي خمودها

بفتح «الواو» من «وجود» واعتدادها واوَ ابتداء، والصواب عندي أنها أصلية من كلمة «وُجُود» مصدر الفعل «وَجَد يجد ووُجدَ يُوجَد»، ولغة الشاعر متأثرة بلغة المتكلمين، ومنها كلمة «الوُجود». ألا تراه يقول بعد ذلك «ص ٢٥»:

وهل سالب العُريان إلا مُنبِّه على عدم الأشياء قبل وُجودها ؟!

فمراد الشاعر إذنْ هو أن الاشتعال إذا كان في النار سبَّب خمودها لأنّ

---

(١) وجاء في مختار الصحاح «رجع الشيء بنفسه من باب جلس، ورجعه غيره من باب قطع، وهذيل تقول ارجعه غيره بالألف». وقوله «من باب قطع» خطأ لا أعلم أحداً قاله غير المختصر لصحاح هذا، على أن مصدره وحده يشبه مصدر «قطع».

الخمود نتيجة الاشتعال ، فهو قد أراد مطلق الاشتعال والاتقاد ، ولم يشترط الكرم ولا الجودة .

٣ — وجاء في « ص ٢٥ » قول الغزي المقدم ذكره :

يقولون ما سيَّرتَ ما يُتَّقى به مغانيك غاباتٌ خلَتْ من أسودها

ببناء « يُتَّقى » للمجهول الغائب ، ولا يتجه عندي له وجهٌ ، والراجح عندي « ما تُتقّى به » للمجهول ، وباسناده الى المخاطب ، يعني : ما أطلقتَ أو قدّمت مايخشاك به الناس ، ويتحامون جانبك ، فحالُك كغابةٍ لا أسَد فيها ، يَجُوسُ خِلالَها الشجاع والجبان وبنات آوى والثعلبان .

٤ — وجاء فيها قولُهُ :

فما يقتضي جَدْواكَ موردُ مِدْحَةٍ لإسلافِك الأثمانَ قبل ورودها

بفتح الهمزة من « أسلافك » ولا وجه له عندي وإنما هو « إسلافك » بكسر الهمزة مصدر « أسلَفَه الشيءَ » أي أقرضَهُ إياه بلا منفعة ، ومراد الشاعر بالبيت هو أنّ ممدوحه لا يجعل جَدْواه مكافأة للشاعر المادح له ، بل يحسن إليه ابتداءً قبل أن يعلم ما لديه ، وهذا تأويل البيت الذي جاء قبله :

وجُدتَ ارتجالاً والغمامةُ طالما تكرّر يحدوها ضجيجُ رُعودها

فالشاعر إذن لا يُسلِفُ الممدوحَ أثمان مَدْحِه قبل ورود الجدوى عليه .

٥ — وجاء في « ص ٢٧ » قول الشاعر المذكور :

فَمَهْدُ عذرَ مَن أمسى نَزيفاً بتركِ الكأسِ في كفِّ المُدير

فقال الدكتور المحقق في الحاشية « النزيف : السكران » ولا أرى له موضعاً ، وإنما المُراد به العطشان ، الشديد العطش ، كقول الشاعر :

فلثِمتُ فاها آخذاً بقرونها شرب النَّزيف ببرد ماء الحشرجِ

ثم إن الشطر الثاني لا ينصر معنى « السكران » هاهنا ، لأنّ الكأسَ تُركت في كفِّ المُدير ، وتركها كذلك مَعْطَشَةٌ لمُسْتقي ، كما هو معلوم .

٦ — وجاء في «ص ٣١» قوله :

فلم يبقَ دينار سوى الشمس لم يُنَلْ ولم يَبْقَ غيرُ البدرِ في الناس درهمُ

وفي «ص ١١٧» قول القيسراني :

قضيـة جائرة مالـها غيرُ مجيرِ الدينِ مُستأصِلُ

والصوابُ في كلا البيتين «غَيْرَ» بالنصب لأنه مستثنى مقدَّم ، وهو كثير في الشعر ولا يصلح للنثر المرسل .

٧ — وورد في «ص ٤٣» قول الغزّي في وصف القلم :

وأنَّ الذي يَسقيه حِينَ يَمُجهُ لجان وعافٍ منه حتفٌ ونائلُ

والصواب « تَسقيه » والذي تسقيه إياه هو الحِبر ، فحين يُلقيه من فيه يكونُ حتوفاً للجناة ونوائل للعُفاة . فلا وجه لـ « يَسقيه » لأن الذي يسقيه هو الإنسان فكيف يمجه من فيه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ — وورد في ص ٥٩ قوله :

وما مشيبُ المرء إلا غُبْرَةٌ تعلَّقتْ من ركض عُمرٍ قد غَبر

بفتح الباء من « غَبَر » بمعنى « بقي » على الوجه الفصيح ، ولا وجه له ، والصواب « غبِرَ » بكسر الباء من باب « فَرِحَ » أي أصابه الغبار ، فالعمرُ لما أصابه الغبار وهو سائر بقي من أثر ركضه الشيبُ الذي هو شعر أغْبَر ، والشيء يشبه أصلَه وهو معنى شعري مليح .

٩ — وجاء في «ص ٦٤» قوله :

ويَعْجُمُ الطَلُّ ما يَخُطُّ على صفحته مَرُّ شمالٍ وصَبا[١]

بجعل « يعْجُم » ثلاثياً من باب نصرَ ، ولا وجه له عندي ، لأن مراد الشاعر أن

---

(١) أخذه منه بهاء الدين علي بن الساعاتي وزاد عليه فزاده جمالاً بقوله من مقطوعة طائية :

والطلّ في سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحــه النسيم فيسقط
والطير تقرأ والغدير صحيفــة والريح تكتب والغمامة تنقط

الريح بمرورها على الغدير تترك ما يشبه الخط على مائه فيتزل الطل وهو المطر الضعيف فينقط ذلك الخط ، فالصواب إذن « يُعْجِم » الرباعي من « أعجمَ الخطَّ » أي أزال إعجامه بالنقط ومنه الحروف المعجمة كالباء والتاء .

١٠ — وورد في « ص ٦٩ » قوله :

ولما دخلتُ الريَّ قلت لرفقتي خذوا حذركم من داغرٍ وخؤونِ

« داغر » بالغين المعجمة ، والصواب « داعر » بالعين المهملة وهو الخبيث والشاطر ، وهو من الدعارة أي الخبث والفسق ، والدُّعَّار هم الشطار .

١١ — وورد في « ص ٨٨ » قول ابن منير الطرابلسي :

وكم له في كبدي لسعةٌ يرودها الدرياقُ من فيهِ

برفع « لسعة » والصواب نصبُها ، قال أبو البقاء الحسيني في كلياته — ص ٢٩٩ — : « وإذا فُصل بين كم الخبرية ومميّزها نصب مميّزها نحو : كم في الدار رجلاً » . والشاعر قد فصل بين كم ومميّزها . وقد كرّر الدكتور الفاضل هذا الضبط في « ص ٥٣٠ » في قول الشاعر « هذا وكم للدهر عندي نكبةٌ » والصواب « نكبةً » .

١٢ — وجاء في « ص ٩٤ » قول ابن منير الطرابلسي نثراً : « يد أن يجريَ القدر بإذهاب الجفا ، وتقذيذ ما في العين من قذى » .

ولا وجه لقوله « تقذيذ » عندي وإنما هو « التقذية » يقال « قَذّى العين تقذية أي أخرج منها القذى » كما في الصحاح ومختاره وغيرهما ، فهو من الأفعال الرباعية الثلاثية الأصل ، التي ضُعِّفَتْ عينُها للسَّلْب ، مثل « مَرَّضه تمريضاً وطلّه تعليلاً وقَرَّده تقريداً » .

١٣ — وورد في « ص ١٠٣ » قول العماد الاصبهاني : « وقد أثبتُّ منها ما عقدتُ عليه خنصر الاختيار ، وثنيتُ إليه عنان الانتقاد » . وأسلوب العماد المسجّع يستوجب « الانتقار » بالراء دون « الانتقاد » بالدال ، وإنْ كان مقارباً

له في المعنى ، والانتقار يشاكل الاختيار ، قال الفيومي في « جفل » من المصباح المنير : واَلجَفَلى على فَعَلى ، (بفتح الكل من ذلك) وهي أن تدعو الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص ، قال طرفة :

نحن في المَشْتاة ندعو الجَفَلى   لا ترى الآدبَ فينا ينتقِرْ

يُقال : دعا فلانٌ الجَفَلَى لا النَقَرَى ، والنَقَرَى : الدعوة الخاصة ببعض الناس . فالانتقار الوارد في قول العماد الاصبهاني هو مصدر الفعل « ينتقر » الوارد في بيت طرفة آنفاً .

١٤ — وجاء في « ص ١٠٩ » قول القيسراني :

فلا تَحفَلَنَّ بصَول الذئابِ   وقد زار الأسَدُ الباسِلُ

بفتح الفاء من « تحفلنْ » والصواب كسرها ، قال الرازي في مختار الصحاح : « حَفَلَ القوم من باب ضَرَبَ » ، وقال الفيومي في المصباح : « حَفَلَ القومُ في المجلس حَفْلا من باب ضرب : اجتمعوا » . ذكرنا ذلك للبرهنة على كسر الفاء من مضارع « حَفَل » لأنّ معنى « لا تحفلن بكذا » : لا تهتم به ولا تُباله .

١٥ — وجاء في « ص ١١٠ » قوله :

أرى القَسَّ يأمُلُ فوت الرماح   ولا بُدَّ أن يضرب السابلُ

وأرى صواب القسّ « القُمُّس » أو « القُمُص » كما جاء في « ص ١٥٨ » وهو قوله :

كما أهدتِ الأقدار للقُمص أمرَهُ   وأسعَدُ قِرن من حَواه لك الأسرُ

قال الدكتور المحقق في الحاشية : ولعله يريد القمص صاحب طرابلس وكان ممَّنْ أسره نور الدين ، انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٩ » . قلت : هذا هو الصواب الذي بعثنا على المشاكلة بين اللقبين وتخطئة الرسم الأول .

١٦ — وجاء في « ص ١٢٤ » قوله :

إذا جاذبتْهُنَّ البوادي مَزِيَّةً   من الُحسن شبَّهن البراقع بالنُقبِ

بفتح النون وتسكين القاف من «النقب»، والصوابُ ضمّ النون وهو جمع «النِّقاب» بكسر النون . وهو القناع تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ، فالبراقع للبَدَويّات «والنُّقُب» للحضريّات ، وتسكين القاف من «النُّقْب» جمع النقاب جائز في النثر فضلاً عن الشعر .

١٧ – وجاء في «ص ١٣٧» قول القيسراني أيضاً :

بما بعطفيكِ من تيهٍ ومن صَلَفٍ مَنْ دَلّ ذلك يا هذا على تَلَفي ؟

ولا نرى لاسم الاشارة «ذلك» موضعاً ها هنا ، والصواب «مَنْ دَلّ دَلُّكِ» وهو من قولهم «دَلّتِ المرأة دَلاًّ ودلالاً تغنّجت» . وكان القيسراني مغرماً بالجناس ، ولا يخفى ما بين الفعل «دلّ» و «الدلّ» المصدر من التجانس اللفظي .

١٨ – وورد في «ص ١٤٤» قوله :

ذاكَ على سَفْكِ دمي مُحَبَّبٌ أنا القتيلُ مُغْرَمٌ بمَنْ قَتَلْ

برفع «مُغرَم» ، والوجه نصبُهُ لأنه حال من «القتيل» ، يعني أن حبيبه قتله وهو مغرم بذلك الحبيب . فان كانت النسخة الأصل قد جاءت بهذا الرفع فهذا خطأ قديم .

١٩ – وجاء في «ص ٢٠١» قول العماد في ترجمة عرقلة الكلبي : «وله من قطعة كتبها الى ابن السُّديد وقد سافر الى بغداد يطلب منه شُقَّة» بضم الشين وكسرها من «شقّة» ، والصحيح كسرها لأنها في الأصل مصدر ثلاثي للهيأة مثل «القِطْعة من كل شيء والرِّزْمة من الثياب والخِرْقة من خرق الثوب ، والصِّبْغة من الصَّبْغ والطِّيلة من الطول» . والشِّقّة هي قطعة من النسيج طويلة ، أحسبها تسمّى اليوم ببغداد «طاقة» .

٢٠ – وجاء في «ص ٣١٧» قول عرقلة المقدّم ذكره «ومن الشقيق جهنّمٌ لا تَحْرِقُ» بكسر الراء من «تحرق» ، وورد في «ص ٣١١» قول المهذب الدمشقي «تُردي شياطين الرجوم وتَحرُق» بضمّ الراء ، والصواب الثاني

دون الأول لأنه بمعنى « يُحرق » الرباعي ، ولا يجوز كسر الراء إلا إذا كان « حَرَق » بمعنى « حكّ » كحرّق نابه على فلان : كناية عن شدة غيظه ولا محل له في البيت المذكور .

٢١ — وجاء في « ص ٢٣١ » قول نصر الهيتي من هيت حوران « تُطوى وتُنشر والأدناسُ تَشمُلها » بضم الميم وكسرها كأنه من « شمل العنزَ يشمُلُها » أي غطى ضرعها بشيء يشبه الجلالة ، ولا وجه له هاهنا بعد قوله « وتُنشر » ، فالصواب « تشمَلُها » بضم الميم وفتحها من « شمِلَهم الأمر : كفرح ونصرَ أي عمَّهم » كما جاء في قاموس الفيروزآبادي وغيره من معاجيم اللغة .

٢٢ — وورد في « ص ٢٤٥ » قولُ وُحيش الأسدي « قوموا انظروا حسنَهُ أكبرُ » فقال الدكتور المحقق في الحاشية : « كذا في الأصلين ولعلها : فحُسنه ، ليستقيم الوزن » . قلت : ولا يسلم البيت مع ذلك من الزحاف ، والذي أراه أنَّ ضميراً أسقطه الناسخ من الشطر وأن الأصل « قوموا انظروه حسنُهُ أكبرُ » .

٢٣ — وجاء في « ص ٢٥٢ » قول فتيان الشاغوري « ولا غروَ إنْ جادتْ جفوني بمائها » بكسر همزة « إنْ » . والغَرْوُ : العجبُ فينبغي أنْ يأتي معه متعَجَّبٌ منه مجرور بمِن ، وقد تُحذف للتخفيف والتلطيف ، فالصواب « ولا غروَ أنْ جادتْ ... » بفتح همزة « ان » لأنَّ « أنْ » والفعل الذي يليها جاءا في تأويل مصدر مجرور في الأصل بمِن ثم حُذفت « مِن » للتخفيف ، والتقدير « فلا غروَ مِن أن جادت » .

٢٤ — وجاء في « ص ٢٦٧ » قول المنتهى الدمشقي :

يا أهل تنّيس وتُونة قايسُوا كم بين طَرْزِكُمُ وطرْزِ الباري

وقال الناشر المحقق في الحاشية « في نسخة ح : طُرْزكم » . وأرى أن يضاف إلى قوله جملة « وهو الصواب » ، لأنه أراد جمع « طِراز الثوب » وهو عَلَمُه ،

ويجوز على بُعدٍ إرادته المواضع التي تنسج فيها ثياب تونة وتنّيس على سبيل المجاز لأنها مصدر ذلك النسيج ، وضَبْط الناشر « الطرز » بفتح الطاء دون كسرها ترجيح بلا مُرجح ، وأحسب الفيومي صاحب المصباح التزم وحده الفتح .

٢٥ — وجاء في « ص ٣٢٣ » قول ابن الزغلّيّة :

فمَن يُناوئك في هذا الأنام وفي بينك الماضيان السيف والقلمُ

بجزم « يناوئك » بغير جازم ، وتلك ضرورة شعرية لا داعيَ لها ، فالشاعر ، فيما أرى ، سَهّل همزة « يناوئ » فصار « يُناوِيْ » فالأصل « فمَنْ يُناوِيكَ ... » ولا ضرورة معَه .

٢٦ — وجاء في « ص ٣٤٦ » قول المهذب الدمشقي : « يُناغي النسائم بنغمة مزماره ، ورنة أوتاره ، ودساتين حناجر كالخناجر ، وألحانٍ أعذبَ من نقرات المزاهر » . فقال الناشر الفاضل : « الدستان في اصطلاح أصحاب الموسيقى : الوتر من العُود أو ما يقابله في سائر الآلات » . ولم يُحِلْ في نقل هذا الشرح على كتاب لغةٍ حتى يسلم من تبعة النقل والعُهدة ، وأراه قد نقله من « المُنْجِد » للناقل الأب لويس معلوف اليسوعي . وهو خطأ لا شك فيه ، والصحيح أنّ « الدساتين هي ما طليه أطراف أوتار العود من مقدّمه وهي كلمة فارسية » . وقيل إنّ عربيّها « العَتَب »[1] . وفي القاموس : « العَتَب ... والعِيدان المعروضة على وجه العود منها تُمدّ الأوتار الى طرف العود » . وكلام المهذب بعينه ينفي أن تكون « الدساتين » أوتاراً ، ألا تراه يقول « ورنة أوتاره ودساتين حناجر كالخناجر » عَطف الدساتين على الأوتار وشبّهها بالخناجر ، والأوتار لا تشبه الخناجر .

٢٧ — وجاء في « ص ٣٦٢ » قول الأمير بغمر بن عيسى : « وتَقَضّى

(١) راجع الأغاني « ٥ : ٢٨١ » طبعة دار الكتب المصرية وفيه « ويده تصعد وتنحدر على الدساتين » .

أكثر النهار ، ولاح علينا دلائل الفرار » فقال الدكتور المحقق في التعليق على الفرار : « كذا في الأصل ولعلها : القرار : القليل من النوم » . وأرى أنه « القَرار »[1] وهو ضد الحركة والانزعاج ، ومقتضى الحال لا يتحمل القليل من النوم ، كما دل عليه سياق الخبر ، وقد يكون غير « القرار » الذي ذكرناه ، إلا أنه لا يكون « الغِرار » الذي اقترحه الناشر الفاضل .

٢٨ — وورد في « ص ٣٦٥ » قول الأمير المقدم ذكره : « ومن حصان كحصن ، أو برّق في مُزن ، ومن حَجر ذات حَجر ... » . فقال الناشر في الحاشية « الحَجْر : الأنثى من الخيل » وفتح الحاء أيضاً ، والصواب كسر الحاء أي « الحِجْر » ، قال الفيومي في المصباح : « والحِجْر بالكسر أيضاً : الفرس الأنثى وجمعها حجور وأحجار ، وقيل الأحجار جمع الإناث من الخيل ولا واحد لها من لفظها . وهذا ضعيف لثبوت المفرد » . وجاء في القاموس بعد ذكره « الحجر » : « وبالكسر : العقل ... والأنثى من الخيل وبالهاء لحن جمعه حجور وحُجورة وأحجار » .

٢٩ — وورد في « ص ٣٦٨ » قوله « والحجلُ قد فارق نَبْجَه ، وضَيَّع مدخله ومخرجه » والصواب « نَبَجه » كما ورد في « ص ٣٨١ » وهو في قوله « وعايَنَ الدُرّاج مدرجا ، ورأى نَبَجاً ، وعزم على النزول به » قال الناشر الفاضل : « وفي أرجوزة أبي فراس الحمداني :

إن لزّها البـاز أصابت نَبَجا أو سَقطَتْ لم تلقَ إلا مَدْرَجا »

نقل ذلك لشرح كلمة « النَبَج » وهو الصواب ، فيجب أن تضبط الكلمة الأولى كالثانيـة .

---

(١) ويؤيد هذا الرأي قوله بعد ذلك « فحينئذ قَرّ لنا القرار واطمأنّت بنا الدار » ، ففي الأول لاحت دلائل الفرار » ثم حَقّ القرار .

٣٠ – وجاء في «ص ٤١٣» قول سَمادة[1] الأعمى :

وحولهم عُزَّلٌ لو أنهم قصدُوا أضحى القنا وهو في لَبّاتهم قَصَدُ

وجاء في «ص ٤٢١» قوله أيضاً :

ويثنى ولها في كفه قَصَدَ يثني عليه ثناءً غيرَ مُنفصل

بفتح القاف من «قصد» في البيتين، وهو خطأ والصواب كسر القاف اسم جمع «القِصْدة» وهي كِسْرة الرمح المكسَّر، قال الفيروزأبادي في القاموس «والقِصْدة بالكسر: القطعة مما يُكسَّر جمعه (قِصَد) كعِنَب ورمح قَصِد وقَصِيد وأقصاد متكسِّر[2]».

٣١ – وجاء في «ص ٤١٩» قول سَمادة أيضاً :

ملوك حجُور الأريحيات مذ نشوا مُهودهمُ والمكرماتُ لهم قِمْطُ

بكسر القاف من «قِمْط» والصواب ضمّها لأنه جمع «قِماط» وهو خرقة عريضة تلف على الطفل إذا كان في المهد، وسُكِّنَت ميم «القمط» جوازاً من أجل وزن الشعر، ولا وجه للقِمط الذي تُشد به قوائم الشاة للذبح كما هو ظاهر للناظر .

٣٢ – وورد في «ص ٤٥٤» قول ابن قسيم الحموي :

فأثار ذلك من زنادقة حَسَداً فسمّوا حبّهم رِفْضا

بكسر الراء من «رفضا» والصواب فتحها، لأنه مصدر «رفض» الثلاثي ولم يسمع فيه وجه كسر الراء، وقد أطلق اصطلاحاً على طائفة معلومة وهم «الرافضة».

(يتبع) مصطفى جواد

(١) ترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كما أشار اليه الشارح الناشر، ولم يشر الى أنه ترجمه باسم «سعيد بن عبد الله الحمصي» في كتابه نكت الهميان في نكت العميان «ص ١٥٧». ونقل من الخريدة أيضاً.

(٢) كذا ورد قول الفيروزأبادي والصواب «مُكسَّر» لأن المتكسِّر ما يتكسر بنفسه.

مقدمة ابن خلدون (*)

– ٢ –

ونترك الآن الكلام على ماشُبِّه علينا من الكلمات والتعبيرات في هذه (المقدمة) على أن نعود إليها بعد أن نشير إلى بعض ما جاء من الأعلام مهملاً بلا ضبط ، ومضبوطاً على غير وجه الصحيح . جمعناها الى بعضها ، وذكرنا صفحاتها في الطبعة القديمة ، وفي الطبعة الحديثة ، تسهيلاً للمراجعة :

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور	
مُيُورقة	: ٤٦	مُيورقة	: ٧٥	مَيُورقة [١]	بفتح وضم وسكون الواو
مايرقه	: ٦٥	مايرقه	: ١٠٩		والراء (فيلتقي فيها ساكنان)
مَنَرقه	: ٦٥	منرقة	: ١٠٩	مَنُورقة [١]	بفتح فضم فسكون ...
سِردَنية	: ٦٥	سِرادنية	: ١١٢	سَرْدَانية [٢]	بفتح .
هِرقلة	: ٦٥	هربقيلة	: ١١٢	هِرقلة [٣]	على مافي الطبعة القديمة
جَدّة	: ٤٧	جدّة	: ٧٦	جُدّة [٤]	بضم
سُفالة	: ٤٦	سفالة	: ٧٦	سُفالة [٥]	على ما في الصفحة الـ٤٦ من القديمة .
سَفالة	: ٥٧				
مِدين	: ٥٧	مدين	: ٧٦	مَدين [٦]	بفتحه بعدها ساكن .

(*) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧٢ – ٦٨٠) .

(١) مَنُورقة ومَيُورقة : أولاهما بالنون والأخرى بالياء : جزيرتان شرقي الأندلس .

(٢) سَرْدانية : جزيرة في بحر المغرب . وقال بعضهم : انها مدينة في صقلية .

(٣) مدينة ببلاد الروم .

(٤) جُدّة : فرضة مكة .

(٥) آخر مدينة تعرف بأرض الزنج .

(٦) مدينة بين المدينة والشام .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور
الشّحر	: ٥٧	الشّحر	: ٧٧	الشّحر [١] على ما في القديمة
ظَفّار	: ٥٧	ظَفّار	: ٩٥	ظَفارِ [٢] بفتح وفاء مخففة
ودّان	: ٥٨	ودان	: ٩٦	ودّان [٣] بالدال المهملة المشددة
السُراه	: ٦٢	السُراة	: ١٠٣	السَراة [٤] بالفتح
لِمْطة	: ٥٧	لطَة	: ٩٦	لَمْطة [٥] بفتح فسكون
الصمّان	: ٦٢	الضمّان	: ١٠٤	الضِمار؟ [٦] بكسر أوله
القَفَص	: ٦٣	القَفْص	: ١٠٥	القُفْص [٧] بضم فسكون
كُرمان	: ٦٣	كُرمان	: ١٠٥	كَرْمان [٨] بفتح فسكون. وربما كسرت كافه
الخَتَل	: ٦٣	الخَتَل	: ١٠٧	الخُتّل [٩] بضم اوله بعدها تاء مشددة مفتوحة
التَبْت	: ٦٤	التَبْت	: ١٠٧	التُبَّت [١٠] بضم اوله بعدها باء مشددة مفتوحة
البتْر	: ٦٤	البتر	: ١٠٧	البُتّر [١١] بضم اوله بعدها تاء مشددة مفتوحة

(١) صُقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.

(٢) ظفارِ بمنزلة قَطَام وحذار : مدينة باليمن .

(٣) ودّان هذه : مدينة بافريقية افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٦ .

(٤) السَّراة : جبل مشرف على عرفة .

(٥) لَمْطة : أرض بأقصى المغرب سُمّيت باسم قبيلة من البربر .

(٦) لم أجد الضمّان الواردة في الطبعة الجديدة ، وأما الصمان في الطبعة القديمة : فوضع من نواحي الشام بظاهر البلقاء . وما أحسب ابن خلدون أراده ، وهو يقول : . . . والاحساء ، وفي غربها الخطب والصمّان (على ما في الطبعة القديمة) والضمّان (على ما في الطبعة الجديدة) والأقرب أن يكون الضِمار وهو موضع بين نجد واليمامة ولا سيما ان ابن خلدون يتابع كلامه هنا فيقول : وبقية أرض اليمامة .

(٧) القُفْص : وردت في مادة (بلوص) من معجم البلدان ، مضبوطة بالحركات لا بالحروف : بضم القاف وسكون الفاء والقُفْص : جيل كالأكراد وجبال القفص تعرف بهم .

(٨) ولاية من بلاد فارس .

(٩) كورة مما وراء النهر على تخوم السند .

(١٠) بلد بأرض الترك .

(١١) حصن ببلاد فرغانة .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور
الصَغد	: ٦٤	الصَغد	: ١٠٧	الصُغد[١] بالضم
امروشنة	: ٦٤	امروشنة	: ١٠٧	امروشَنة[٢] بنون مخففة
فرغانة	: ٦٤	فرغانة	: ١٠٧	فَرغانة[٣] بالفتح
مالقة	: ٦٦	مالقة	: ١١٠	مالَقة[٤] بلام مفتوحة وقاف مخففة
المنقب	: ٦٦	المنكب	: ١١٠	المُنكّب[٤] بضم اوله وكاف مشددة
المرية	: ٦٦	المرية	: ١١٠	المَرِيّة[٤] بفتح وراء مشددة مكسورة
إشبيلية	: ٦٦	أشبيلية	: ١١٠	إشبيلية[٤] بكسر أوله وياء مخففة
غرناطة	: ٦٦	غرناطة	: ١١٠	غَرناطة[٤] بالفتح
وادياش	: ٦٦	وادياش	: ١١٠	وادي آش[٤]
مرقسطة	: ٦٦	سرقسطة	: ١١١	سَرقُسطة[٥] بفتح اوله وضم ثالثه
جبلة	: ٦٨	جبلة	: ١١٣	جَبَلة[٦] بالتحريك
مصيات	: ٦٨	مصيات	: ١١٣	مَصياف[٧] آخره فاء أو باء مصياب
عين زُربة	: ٦٨	عين زُربه	: ١١٣	عين زَربة[٨] بفتح أوله
المَصيصة	: ٦٨	الصيصة	: ١١٤	المَصّيصة[٩] بتشديد الأولى

(١) الصُغد وقد تكتب بالسين . وهما صُغدان : صُغد سمرقند ، وصغد بخارى .

(٢) امروشنة أو اشروسنة كلاهما بالنون المخففة : بلدة كبيرة بما وراء النهر .

(٣) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تُركستان .

(٤) من مدن الأندلس .

(٥) مدينة بجزيرة صقلية .

(٦) مدينة بساحل الشام .

(٧) مدينة من أعمال اللاذقية بالساحل الشامي . وكانت حصناً للاسماعيلية .

(٨) عين زَربة أو زَربى : ثغر قرب المصيصة .

(٩) المَصّيصة : وفي رواية مرجوحة بتخفيف الصادين : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور	
ُحرّان	٦٨	ُحرّان	١١٤	حَرّان [1]	بالفتح وتشديد الراء
اللـكام	٦٨	اللـكام	١١٤	اللُّكّام [2]	بالضم وتشديد الكاف
سَميساط	٦٨	سَميساط	١١٤	ُسميساط [3]	بضم أوله
هَيْت	٦٩	هَيْت	١١٥	ِهيت [4]	بالكسر
صَيْمَرة	٦٩	صَميره	١١٦	صَيْمَرة [5]	بفتح أوله وياء ساكنة ثم ميم مفتوحة
خَوَنْجان	٦٩	خَونْجان	١١٦	ُخونَجان [6]	بالضم وفتح النون
البَنْدَقان	٧٠	البدقان	١١٦	ُبنْدُكان [7]	بضم أوله وثالثه
طَبَرْستان	٧٠	طَبَرْستان	١١٧	طَبَرِستان [8]	بكسر الراء
مَهْرَجان	٧٠	مهرجان	١١٨	ِمهرِجان [9]	بكسر أوله وثالثه . وبكسر أوله وفتح ثالثه .
خوارَزم	٧١	خوارَزم	١١٨	خوارِزم [10]	بكسر الراء
خَجَنْده	٧١	خَجَنْده	١١٨	ُخجَنْدة [10]	بضم أوله وفتح ثانيه
هِرمِز	٦٣	هِرمِز	١٠٥	ُهرمُز [10]	بضم أوله وثالثه

* * *

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

(١) قصبة ديار مضر بين الرها والرَّقة .

(٢) اللُّكّام : الجبل المشرف على انطاكية . وهو مخفف الكاف في شعر المتنبي :

بها الجبلان من صخر وفخر أنافا ذا المغيث وذا اللكام

(٣) مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد .

(٥) موضع بالبصرة على فم نهر مَعقل .

(٦) قرية بأصبهان .

(٧) من قرى مرو .

(٨) من بلاد فارس .

(٩) مِهرِجان : بكسر أوله وثالثه : كورة . وبكسر أوله وفتح ثالثه قرية في بلاد فارس .

(١٠) مواضع مشهورة .

وقعت الطبعة الجديدة في خطأين :

١ — أهملت ضبط أعلام كان من الواجب ضبطها ٠

٢ — سايرت الطبعة القديمة مسايرةً مطلقة في ضبط الأعلام الأخرى ٠ فأخطأت الجديدة في ما أخطأت فيه القديمة ٠ وضبط هذه الأعلام ضبطاً تاماً صحيحاً ، كان ممكناً ، وإن كان متعباً ، وذلك بالرجوع الى دواوين اللغة ، ومعاجم الأعلام ، وكتب السير ٠ وهو ما نرجو أن يكون في طبعة مقبلة إن شاء الله ٠

عارف النكدي

ثلاثة أزهار في معرفة البحار

لأحمد بن ماجد ، الملاّح العربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توافرت الأبحاث الحديثة عن الرُّبان العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، فزاحت الستر عن آثاره المغمورة ، وأظهرت ما له من فضل على حركة الاستكشاف في القرن الخامس عشر ٠ وقد سبق لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أن عرّفت بابن ماجد ، ونوّهت برسائله العديدة في الملاحة ، ولا سيما « كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » ٠ وكان المستشرق الافرنسي فرّان (G. Ferrand) قد نشر الكثير عن « أسد البحر المائج » ، وأوضح انتفاع البرتغاليين به في رحلاتهم ، وعَرض لمصطلحات الملاحية العربية ، ورجع بها الى أصولها ٠ وأخرج الأستاذ محمد ياسين الحموي عام ١٩٤٧ بدمشق دراسة مستوفاة احتوت جملة ما بلغه الاستقصاء عن هذا النوتي العظيم ٠

وتتوثّق معرفتنا بابن ماجد بهذا الكتاب الجديد الذي نشره في مطلع عام ١٩٥٧ معهد الاستشراق في المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي ٠ وعنوان الكتاب المثبت على الغلاف هو : « ثلاثة أزهار في معرفة البحار » ٠ أما العنوان المطبوع على الصفحة الأولى فهو :

« ثلاث راهمانجات المجهولة »

وقد جاء تحت هذا العنوان :

لأحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكو دي جاما

وهي مأخوذة عن النسخة العربية الفريدة

التي توجد في مكتبة معهد الاستشراق

عني بنشرها وتحقيقها وترجمتها

الى اللغة الروسية ووضع الفهارس

ثيودور شوموفسكي

ويبدو لي أن العنوان الثاني من وضع الأستاذ الناشر . ولعلَّ الصواب فيه :

« ثلاثة راهنامجات مجهولة »

وفي القاموس المحيط : الراهنامج كتاب الطريق ، وهو الكتاب يسلك به الربابنة البحر ، ويهتدون به في معرفة المرامي وغيرها . وهو يقابل كلمة (Itinéraire) بالفرنسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقسم الأوَّل من الكتاب يتضمَّن تصويراً فوطوغرافياً لهذه الراهنامجات ، وهي ثلاث رسائل مخطوطة منظومة شعراً . وأحسب أن القارئ العربي يود لو كانت هذه الرسائل قد نُشرت بالحرف الطباعي ، مع الاجتهاد باتمام نقصها ، واصلاح خطأ النسّاخين فيها ، وتذييلها بهوامش موضّحة تلقي الضوء على ما فيها من مصطلحات بحرية وفلكية ، وتضبط أسماء الأماكن وتحدّد مواقعها ، وتشير الى ما يقابلها في هذا العصر .

وقد ألحق الأستاذ المحقق بهذا القسم مصوّراً ملوّناً لمراحل الرحلات التي تضمّنتها الرسائل ، كتب عليها : « صورة بحر الهند ولها البنادر التي ندخها أحمد بن ماجد » . وفي القاموس نَدَخَ : صدم ، يقول راكب البحر : ندخنا ساحل كذا ، وأندخنا المركب الساحل ..

ويطيب لي أن أطري الجهد الفذّ الذي اضطلع به الأستاذ الناشر في عمل هذا المصوّر ، ووضع الأسماء عليه في مواضعها المحققة أو الموهومة ، معتمداً في ذلك على بعض الباحثين أحياناً ، وعلى التحرّي الذاتي أحياناً أخرى . ويزيد من فضله أن المعاجم الجغرافية المتوفرة لا تذكر إلا القليل من هذه الأسماء . ومعجم البلدان لياقوت يرجع الى أوائل القرن الثالث عشر ، ولا نجد فيه سوى النزر من الأماكن الواردة في رسائل ابن ماجد .

ويخيّل إليّ ان الكسب العلمي من هذا المصوّر يزدوج لو أن واضعه الفاضل أرفق بكل اسم قديم مقابله في عرف الجغرافيين المحدثين ، إذن لكنا عرفنا مثلاً أن جزيرة الفور هي فورموزة ، وان الفالات ليست سوى جزر لاكديف ، وديبجات هي جزر مالديف (وكان ابن بطوطة يسميها جزائر ذيبة المهل) ، وان جزيرة القُمر هي مدغسكر (١) .

وليغفر لي الأستاذ الناشر أن أخالفه في تحقيق بعض المواقع ، كما أثبتها على المصوّر ، اجتهاداً منه أو اقتباساً . فقد جاء بين يدي رسالة ابن ماجد الأولى ذكر ساحل الهند الغربي ، وما عليه من الكُوَر والفُرَض ، بدءاً من جنوبه حتى شماله ؛ وقد عدّ عليه من الأسماء بالترتيب : مليبار (مالابار) وكبلن ، وجوزرات والسند ؛ ورُسمت كبلن مهملة الباء ، فأثبتها الناشر كَبَلَّن ووضعها في جزيرة جاوة ، على آلاف الكيلومترات من الهند . والذي يتراءى لي أنها كَلْيَن ، ورسمها بالفرنجية Kalyan ، وهي الى اليوم قائمة شمال ساحل الملابار قرب بومباي . وغير بعيد عنها في الشمال تقع كورة الكُجَرات (Gujarat) ، ولا مجال للشك في أنها هي الجوزُرات ، وتليها بلاد السند .

(١) يذكر ياقوت في معجمه (المجلد السابع ، ص ١٥٩) أن القمر جزيرة في وسط بحر الزنج ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها . ولا يزال اسم القمر يطلق على مجموعة جزر صغيرة قائمة في شمال مدغسكر (Comores) .

ويبدو لي أيضاً أن مرفأ حَمِضَة وجزر القُصَيليّات في البحر الأحمر قد رُفعت على المصوّر الى أواسط الحجاز ، وهي من ساحل اليمن الشمالي أو العسير . فالقصيليات تقع إزاء مرفأ شُقيق ، وتعرف الآن بالوَصَليّات . وأما حمضة فيذكرها ياقوت في أكثر من موضع ، ويقول انها في أرض اليمن من جهة قبلتها[1] ، وقد وضعها الأستاذ الناشر محل فرضة اللِيث جنوبي جُدّة . وهي الى ذلك مشكولة في فهرس الأماكن حَمْضَة ، وعند ياقوت بكسر الميم . وأرى من ناحية أخرى أن الألف واللام يجب إسقاطها من كلمة القُلزُم في جملة « بحر القلزم العرب » المطبوعة على المصور فوق البحر الأحمر .

ويزدان القسم الأوّل من الكتاب أيضاً بدائرة الجهات الأصلية والفرعية بالنسبة الى مواقع النجوم ، استنتاجاً من رسائل ابن ماجد . وهي الجهات التي تدلّ عليها الابرة المغناطيسية أو الحُك[2] . وقد ذيّل الناشر هذه الصورة بجملة لا تسلم من لبس ، فكتب : « ٣٢ خناً من الجدول أو دائرة الأرياح العربية » . والخنّ هنا هو الخانة أو الموقع ، ويستعملها ابن ماجد مجموعة على أخنان ، وليس له بهذا المعنى أصل في العربية . والأرياح هي كالرياح جمع للريح . والقصد منها هنا مهابّها بالنسبة الى منازل النجوم والقمر . واصطلاح « دائرة الرياح » أو « وردة الرياح » مألوف عند المحدثين بمعنى دائرة الجهات (Rose des vents) ، وتنقسم الى ٣٢ قسماً .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على ترجمة رسائل ابن ماجد الى الروسية ، وعلى عرض لتصانيفه ؛ وينتهي بفهارس للمصطلحات الملاحية والأسماء الجغرافية والفلكية الواردة في الرسائل ، وجدول بالقوافي والأوزان الشعرية ، وثبت بالمصادر التي رجع اليها الناشر واعتمد عليها . وفائدة هذا القسم مقصورة على من يعرفون اللغة الروسية . وليس بوسعنا أن نعلّق عليه بشيء .

(١) المجلد ٣ ، ص ٣٤٢ ، المجلد ١٠ ، ص ٥٢٣ .
(٢) في القاموس المحيط الحُك : إبرة الملاحين .

أما الرسائل المصوّرة فلا يعسر على القاري الجزم بأنها متفاوتة الخطوط ، ومجانفة في أكثر أبياتها لأبسط قواعد اللغة وموازين العروض . وسيتحقق القاريُ بنفسه أن الخطأ فيها لا يقع وزره على النساخين — في الغالب — ، بل على صاحب الرسائل . وهي — إن صحّت نسبتها اليه — لا تشهد بأنه « شاعر القبيلتين » كما كان يجب أن يلقب نفسه ..

ولا ندري ما قصد اليه المؤلّف في نعته نفسه برابع الثلاثة ورابع الليوث في المقدمات التي استهلّ بها رسائله . ولعله أراد من سَبقه من البحّارة المغامرين ، أو أنه عَنى أجداده ، وكلهم ملاّح بارع .

واسم الرسالة الأولى « الأرجوزة السُفالية » نسبةً الى سُفالَة (Sofala) ؛ وهي الى اليوم مدينة على شفير افريقية الشرقية البرتغالية (موزامبيق) ، قبالة جزيرة مدغسكر . ويقول عنها ياقوت انها آخر مدينة تُعرف بأرض الزنج (ج ٥ ، ص ٨٨) .

وتستهدف هذه الأرجوزة هداية الربابنة عبر المحيط الهندي ، بين ساحل الهند وسواحل افريقية الشرقية ، وتبيان ما يقتضي ذلك من معرفة الاتجاهات (الأخنان) والقياسات والمراحل (المجاري) والطرق (الدير) . وهي تشتمل على ٨٠٥ أبيات من بحر الرجز ، مطلعها :

الحمد لله الذي أنشا الملا من عدم جلّ تعالى وعلا

ويضيق بنا المجال عن تسقّط زلاّت المؤلّف في هذه الرسالة ، وتتبّع ما خالف به أقيسة اللغة وأبحر النظم ، حتى ليتردّى أحياناً كثيرة الى مستوى الشعر العامي الفج ، بالاضافة الى ما مسخه الناسخون وما استعمله الناظم نفسه من كلمات عامية أو أجنبية .

والحدس بأن المؤلف توخّى عن قصد فائدة جمهرة الملاحين ، فكتب لهم بلغتهم ، وخاطبهم وفق مداركهم ، وانه لم يرد أن يخرج للمثقفين تحفة فنية

أو أدبية ، وان تسكين أواخر الكلم ليس إلا من دواعي هذه المحاولة في التبسيط ، أقول إن هذا الحدس يضعفه هنات أصيلة في النص ما كان تقويمها يحول دون الغاية المرجوة . ولعل ابن ماجد كان في الواقع خرّيت بحار ، لا صانع أشعار ، وإن رُويت له أبيات قليلة تسمو إلى مرتبة الشعر الجيّد .

وهذه بعض الأمثلة من أوائل الأرجوزة :

الى السواحلْ ونواحي القُمرِ الى سُفالةْ استمع واحـرِ (ب٦)
مجراك في الجوزا معًا والنيرِ على قَدَرْ ريحك في المسير (٨)
أو زَحْن أو طوفان أو أمطارْ فذاك بالتدبير بالأسفـارْ (١٣)
واجرِ على السِماك ثم الكاثرْ حتى يزيد الجاه اصبعْ وافرْ (٢٢)
موسمه السبعين في خروجه وفي الثانين يكون ولوجهْ (٢٥)
ولم يلج من سار في التسعين إلا أن يكونْ في نادر السنين (٢٦)
تلقا به السهيل والظالـيمْ ستةْ ونصف كن به عليمْ (٢٩)
اربعْ أصابعْ في قياسٍ واحدْ وثلثْ أيضًا فوقهم زوايدْ (٣٢)
ورتّب الجرا مع القياسِ في نتخة[1] البر فكن ذوا بامي (٣٣)
ربان لا ينقصْ ولا يزيدْ وردْ في الاكليل بالتوكيدْ (٤٢)
يزيد في المِرزَم في التريفا اصبعُ إلا ربعُ ياحريفـا (٦٦)
وقس على المعقـل والمربَعِ فهن معلوماتْ معكم ومعي (٦٩)
يكونْ ستةْ ثم الأربعْ اصبعِ مثل قياس الأصل قسه واسمعِ (٧٩)
ان قياس النجوم الطالعةْ والغاربات فيهـم المنازعةْ (٨٠)
ذكرتهم لتعرف الأفلاك ! وسيرذي الكواكب الزواكي (٨٣)

والقصيدة الثانية هي المَلَقية ، وذلك نسبة الى مَلْقَة (ملعقة) ، أي شبه جزيرة مالاقا ، ويستعمل ابن ماجد هذه التسمية أيضًا . وهو يعدّد المراحل

(١) يستعمل ابن ماجد نتخ بمعنى تدَخَ أي رسا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليها من الهند ، فيقول في مقدمتها : من بر الهند الى بر سيلان ، وناك باري (وقد رسمها الناشر على المصوّر نال باري ، والأصل أصح ، وهي تُعرف الى اليوم بجزر نيكوبار) ، وشُمطرة ، وبر السيام ، وملعقة ، وجاوه ، وما كان في طريقهم من الجزر والشعبان ومناخهن وصفتهن والبلد فيهن ، وقفاصي (مضيق مالاقا) وغيرها ، وجميع ما يتعلق به المشارق والجنوب والغور والصين ، الى حدود الحرات الشارقة على البحر المحيط الذي لا خلفه سوى جبل قاف (امريكا ؟) .

وأبيات القصيدة ٢٧٣ ، وهي من الرجز أيضاً ، ومطلعها :

عزمت والعزم حميد في السفر لا سيما من بلدة فيها ضرر

وهي كأختها الأولى أشبه بزجل العوام ، وتماثلها في ضعف السبك وعوج اللغة وتعثر النظم ، وتتزيّد عليها في إقحام ياخي (يا أخي) وياخواني (يا إخواني) في عشرات المواضع . وحسب القارئ هذه الأمثلة :

إن كان في هذا النجوم نقسا شرّق وأشيل لاتكونْ أخرسا (١٤)
وان تكن ياخي بعيد عنها (١٨)
وفيهم الضيق فكن بالعالمِ حتى تكون للطريق لازمي (٣١)
أرمي بها إن شئت أخذَ الماه والما تحت القطعة الكبرا (٩٩)
وفوقهن جبلاً معروفا له سنام وبه موصوفا (١٥٠)
والماء يسقي داخلْ كن عارفْ عندكْ وإلا اطرحْ ولا تخالفْ (١٩٠)

الخ . . .

وآخر الرسائل وأقصرها هي الثانية ، وتصف طريق الملاحة بين جُدَّة وعدن (محضة ، القُصيليات ، سيبان ، الحُديدة ، أرض الحُصَيْب [زَبيد] موشج ، بُقعة ، جزيرة زُقَر ، عارة) . وتقع في ٥٥ بيتاً ، وبحرها الطويل ، ومطلعها :

مررت نسمة الفردوس من أرض مكة بريح الصبا فاشتاقت السير حلبقي

م (١٠)

وهي بالجملة أقوم لغةً ، وأمتن رصفاً ، ولكنها لا تبرأ من سَقَط ، أمثال :

مسافتهم زامين والريح طيب كذا ستة للزقر كن متلفت (٣٢)

خصوصاً إذا ما كان ليلك ظلمني (٣٥)

* * *

وبعد ، فحمد العروبة للأستاذ شوموشسكي توفره على بعث تراثها ونشر مآثرها ، وقد بذل في إخراج هذا الكتاب أكرم الجهد .

(دمشق) **الدكتور عزة النص**

رسالة الغفران[1]

لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة بنت الشاطئ

« الطبعة الثانية ، دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، في ٦٢٤ صفحة »

— ٢ —

٤ — أورد أبو العلاء ص ١٦٨ قول الأعشى :

محقبا زكرة وخبز رقاق وحباقا وقطعة من نون

وقال : « يعني بالحباق جرزة البقل » . وشرحت المحققة الحباق بأنه نبات طيب الرائحة[2] ، وما قاله الشيخ أولى وأجود ، يشهد لذلك أن البيت ورد في الأغاني ١١٩/٢ (طبعة الساسي) في جملة أبيات عزاها لحنين الجبري ، وروايته :

محقبا ركوة وخبز رقاق وبقولا وقطعة من نون

(١) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨٥ — ٦٨٧) .

(٢) الحباق وزن كتاب جمع حَبَق عن ابن خالويه كما في اللسان ومستدرك التاج ، والحبق أنواع كثيرة ذكرها الأمير الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية . (لجنة المجلة)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ — أورد الشيخ ص ١٨٥ أبياتاً من قافية عدي بن زيد ، فيها :

لم يعبه إلا الأداحي فقد وبّـــــر بعض الرئال في الأعلاق

وضبطت المحققة (الأدّاحي) بتشديد الياء وضمها ، والصواب ـ هنا ـ تسكينها ليتزن البيت .

٦ — أورد أبو العلاء ص ٢٦١ أبياتاً من الرجز في وصف رحى اليد ، وهي :

أعددت للضيف وللجيران حربتين تتعاوران

لا ترأمان وهما ظئران

وقالت المحققة في كلتا الطبعتين : « . . . أما الحربة فلم نجد من معاني المادة ما يناسب المقام ، . . . . ويمكن أن تكون (حربتان) هنا مثنى حُرَيْبَة تصغير حراة وهي الجانب والشق والناحية ، وقد يفرض ـ على بعد ـ أنها (رُحَيَّتان) لا (حربتان) مثنى رُحَيَّة مصغر رحى ، صحفها الناسخ فقدم الحاء على الراء ، وهذا الاحتمال الثاني لا قوة له ، لأن المعنى إنما يقوم على ما بين حجري الرحى من التلازم دون التراؤم » .

ثم عقبت ـ في الطبعة الجديدة ـ بذكر ثلاثة آراء في ضبط الكلمة وتوجيهها ، أحدها رأيي وخلاصته أنها (حَرّيتين) مثنى حرّية ، نسبة للحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، أي أن هذه الرحى متخذة من حجارة الحرة . والآخر للدكتور محمد يوسف ، أدلى به في كلمة عقب بها على مقالي في مجلة الكتاب عدد تموز (يولية) ١٩٥١ ، وخلاصته أنها مصحفة عن (جُرَيْبَتين) ، والثالث للأستاذ السيد أحمد صقر ، ذهب فيه إلى أنها مصحفة عن (خِدَبَّتين) .

وما كنت قلته ـ سنة ١٩٥١ ـ اجتهاداً قد وجدته مؤخراً منصوصاً عليه ، فقد أورد ابن قتيبة الأبيات ـ مع خلاف في بعض اللفظ ـ في المعاني الكبير ص ٣٧٦ وقال : « يعني رحيين من الحرّة » . وقطعت جهيزة قول كل خطيب :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ — أورد الشيخ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ أبياتاً من قصيدة حائية متدافعة بين أوس بن حجر وعبيد بن الأبرص ، منها :

كأنّ ريقه لما علا شطبا أقراب أبلق ينفي الخيل رمّاح

وكانت المحققة ضبطت — في الطبعة الاولى — كلمة (شُطبا) بضم الشين وفتح الطاء ، وشرحتها بأنها جمع شطبة وهي السعفة الخضراء . فصححتُ — في مقالي السابق — ضبط الكلمة ، وذكرت انها ينبغي أن تضبط (شَطِبًا) بفتح الشين وكسر الطاء ، أو بالتحريك ، بالاعتماد على القاموس المحيط واللآلي ومعجم البلدان ، وهو اسم جبل . فأصلحت المحققة — في الطبعة الجديدة — الشرح على ما جاء في مقالي ، على حين أبقت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة كالسابق (شُطَبا) .

٨ — أورد الشيخ ص ٢٧٦ بيتاً من رائية الأفوه الأودي ، وهو :

ريشتْ بجرم نبلا قرني جرمها منهن فوق وغرار

ثم أورد منها ص ٢٨٩ بيتاً آخر وهو :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

وضبطت المحققة الروي في كلا البيتين بالسكون ، والصواب الضم ، فالبيتان من قصيدة مطلقة الروي (انظرها في ديوانه ص ١١ — ١٣ في مجموعة الطرائف الأدبية) وفيها :

يحلم الجاهل للسلم ولا يقر الحلم إذا ما القوم غاروا

ومثل هذا البيت لا يمكن تقييده لأنه موصول بواو الفاعلين .

٩ — وقال ص ٣١٨ : «وكان سيبويه ينشد هذا البيت بكسر الهمزة :

أحب لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب»

وضبطت المحققة (احب) الثانية بالنصب ، وكنت اقترحت — في مقالي السابق — ضبطها بالرفع . فدفعت المحققة هذا الوجه ، وحجتي في الموضوع أن

المضارع إنما ينصب بعد حتى إذا كان مستقبلاً بالنسبة الى ما قبلها ، وأما إذا دلّ على الحاضر - كما هو الحال في هذا البيت - فالوجه الرفع .

١٠ - أورد أبو العلاء ص ٣٢١ قول علقمة بن عبدة :

يهدي بها أكلف الخدين مختبر من الجمال كثير اللحم عيثوم

ثم قال : « فروي [يهدي] بالدال غير معجمة » .

وضبطت المحققة (غير) بالكسر ، والصواب فتحها ، فهي منصوبة على الحال ، ولا يصح - هنا - الوصف إذ لا توصف المعرفة بنكرة .

١١ - أورد الشيخ ص ٣٢٣ بيتين من معلقة عمرو بن كلثوم ، وهما :

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته فرجعت الحنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

وذكر أن (شمطاء) - في البيت الثاني - يجوز عنده نصبها من وجهين ، ذكر أولها ثم قال يذكر الآخر : « والآخر أن يكون من ولاه المطر .. » ويغلب على الظن أن في الكلام سقطاً ، وأن الأصل « والآخر أن يكون [ولي] من ولاه المطر .. » ، ليستقيم وجه الكلام .

١٢ - أورد ص ٣٢٤ قول الراجز :

دار لظميا وأين ظميا أهلكت أم هي بين الأحيا

والصواب (دار لظمياء ..) ليتزن البيت .

١٣ - ذكر أبو العلاء ص ٣٢٩ ميمية المرقش المفضلية (هل بالديار أن تجيب صممْ) ثم قال : « على أن مرقشا خلط في كلمته فقال :

ماذا علينا أن غزا ملك من آل جفنة ظالم مرغِمْ »

وقالت المحققة في الطبعة الأولى : « الشاهد هنا في كسر حركة ما قبل الروي (مرغِمْ) وهو في بقية القصيدة بالفتح ، وهذا عيب في القافية سماه أبو العلاء هنا خلطا » . وأما في الطبعة الثانية فقد أشارت إلى ما قالته في الطبعة الأولى ،

ثم أشارت إلى رأيي ، وخلاصته أن ما عناه أبو العلاء بالخلط هنا إنما هو مجيء البيت من البحر الكامل الأحذ المضمر ، لأن قوله (نة ظالمٌ) وزنه (متفاعلن) على حين أن سائر الأبيات من السريع . ولم تقطع المحققة بأحد الوجهين .

وقد انحرفت المحققة في التعبير عن رأيي ، فذهبت الى اني قلت : إن وزن البيت (مستفعلن مستفعلن متفاعلن) وهذا شيء لم أقله ، وهذه الصيغة التي جاءت بها ليست من الكامل الأحذ في شيء . وكل ما ذكرته ما سقته آنفاً من أن قوله (نة ظالم) وزنها (متفاعلن) . فخرج البيت بذلك إلى الكامل المضمر الأحذ .

وهذه النقطة تحتاج الى شيء من البسط ، فالرأي الذي أبديته ما أزال مصراً عليه . والعيب الذي أشارت إليه المحققة هو ما يسمى في مصطلح القوافي (سناد التوجيه) ، ومن عادة أبي العلاء أن يسمي السناد ـ على اختلاف أنواعه ـ باسمه الصريح ، كما فعل ص ٣٢٢ عندما عرض للسناد في معلقة عمرو بن كلثوم ، ثم إن مرقشاً قد ساند في معظم أبيات القصيدة بالضم والكسر ، فلم عني أبو العلاء بذكر هذا البيت خاصة ؟ ومن هنا يبدو أنه إنما عنى ظاهرة في هذا البيت لا يشاركه فيها سائر الأبيات ، وهو ما ذكرناه .

١٤ ـ قال أبو العلاء ص ٣٥٥ يحكي قول ابن دريد في بيتين ينسبان إلى آدم عليه السلام في ثانيها إقواء ـ : « فقال أول ما قال : أقوى » .

هكذا ضبطت المحققة هذه العبارة جعلت النقطتين بعد (قال) الثانية ، فجعلت (أول ما قال) ظرفاً لـ (قال) الأولى ، والصواب وضعها بعد (قال) الأولى (قال : أول ما قال أقوى) فيكون (أول ما قال) ظرفاً لـ (أقوى) وداخلا في مقول ابن دريد . والمعنى أن آدم قد وقع في الإقواء أول ما أخذ بقول الشعر . ويشهد لما ذهبتُ إليه أن الشريف ابن الشجري أورد القصة في أماليه ١ / ٣٨٤ (طبعة حيدر آباد) ، وعبارته في حكاية قول ابن دريد :

«هذا شعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء» والقصة أيضاً أوردها ياقوت في معجم الأدباء ٨/١٨٦ وعبارته في حكاية قول ابن دريد: «أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله» ثم أنشد البيتين.

١٥ — أورد أبو العلاء ص ٣٥٨ أبيات النابغة التي يذكر فيها قصة الحية «ذات الصفا» وفيها قوله:

كما لقيت ذات الصفا من خليلها وكانت تديه المال غبا وظاهره

وكانت المحققة ضبطت (غبا) في الطبعة الأولى بكسر الغين، وذهبتُ في مقالي — اعتماداً على ما ورد في الديوان ص ٦٢ (طبعة بيروت) — إلى أنها بضم الغين ومعناها: ما غمض من الأرض، وهذا وهم قد وقعتُ فيه، وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة، والصواب أنها بكسر الغين، والغب أن ترعى الإبل يوماً وترد من الغد، والظاهرة أن ترد كل يوم نصف النهار. وقد وردت الكلمتان في حكاية المعري نفسه للقصة ص ٣٥٦ وشرحتهما المحققة ثمة شرحاً صحيحاً، إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي كنت انسقت إليه.

١٦ — عرفت المحققة ص ٣٦٦ بعذافر بن أوس قالت: «لعله عذافر الفقيمي، أورد ابن قتيبة في (أدب الكاتب) رجزاً له وقال: «وابس بجحة — وهو فقيمي، وكان يكري إبله إلى مكة». وهذا يوهم أن العبارة السالفة كلها من كلام ابن قتيبة، وهو لم يقل إلا «وابس بجحة»، وأما سائر الكلام فلناشر الكتاب الأستاذ محيي الدين عبد الحميد في حاشية الكتاب. انظر (أدب الكاتب ص ٣٩٩).

١٧ — أورد أبو العلاء ص ٤٣٦ قول أبي نواس:

نديم قيـل محدثه ملك

وضبطت المحققة الثاء من (محدثه) بالضم، والصواب الفتح، لأن الأصل (محدَثةُ ملك) وهذه الهاء مزيدة للمبالغة كما هي في علامة ونسابة وراوية لا للتأنيث، وسكنها الشاعر للضرورة.

١٨ — أورد أبو العلاء ص ٤٢٧ بيتاً من الرجز وهو :

يا بيذره يا بيذره يا بيذره

وكانت المحققة في الطبعة الأولى جعلته نثرا ، وكنتُ نبهت إلى ذلك في مقالي ، ولكن هذا التنبيه أسقط في جملة ما أسقط من المقال . وأزيد الآن أن البيت من أبيات في جمهرة ابن دريد ١/٢٣ ، و ٢١٩ وروايته (يا بيدره) بالدال المهملة .

١٩ — قال الشيخ ص ٤٥٧ : « . . يقنت على رهط الإجبار ويسند إلى عبد الجبار » .

وشرحت المحققة القنوت بما لا يفهم منه المقصود تماما ، ومعنى العبارة - فيما نرى - أنه يقنت في صلاته ويدعو على الجبرية . وهذا ما كنت ذهبت إليه في نقدي للطبعة الأولى ، إلا أن المحققة لم ترضه ، وعلقت بقولها : « . . صرف القنوت إلى الدعاء على فئة لا وجه يرجحه . والسياق أن الرجل مراء كاذب التدين يتعبد على طريقة رهط الإجبار ، ويروي أو يعتقد على طريقة المعتزلة » . ويشهد لما ذهبت إليه ما أثر عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يدعو في قنوته لأسلم وغفار ، ويدعو على عضل والقارة . وما قالته المحققة من أن أبا العلاء أراد أن يصف الرجل بأنه مراء صحيح ، ولا ينافي ما قلت ، لأن أبا العلاء وصفه بأنه « . . ما يزال يحتقب من المآثم عظائم . . » فهو يدعو على مخالفيه من الجبرية ويقول بمقالة المعتزلة ، مع عكوفه على المآثم ، وهي - في نظر المعتزلة - تجعل الإنسان لا مؤمنا ولا كافرا وإنما في منزلة بين المنزلتين .

٢٠ — قال الشيخ ص ٥٢٣ « . . فأخذ - أي ابن القارح - عن الكتابي سور التنزيل » .

وكانت المحققة في الطبعة الأولى ص ٤٨٩ ذهبت إلى أنها (الكتابي) مستظهرة بقول أبي العلاء : « وما عنيت بالكتابي من نسب الى توراة وإنجيل ،

دون من نسب إلى القرآن الجيد» . وذكرت أن نيكلسون قرأها (الكتاني) - بالنون - ولكنه أخطأ معرفة المعني بذلك ، وقالت المحققة : «وإذا صحت قراءة نيكلسون تعين أن يكون الكتاني هنا أبا حفص الكتاني أحد شيوخ ابن القارح ... ولكن يبقى بعد هذا سؤال هو : لم عني أبو العلاء بذكر الكتاني دون بقية الشيوخ الذين ذكرهم ابن القارح وهم جميعاً من الأعلام ؟» وكنت علقت - في مقالي السابق - على هذا الكلام بقولي : «ما قرأه نيكلسون هو الصحيح ، وإن كان لم يوفق إلى معرفة المعنيّ بذلك ، وما قالته المحققة من أنه يتعين - إن صحت قراءة نيكلسون - كونه أبا حفص الكتاني صحيح أيضاً ، أما الجواب على سؤالها فغاية في البساطة ، وهو أن أبا حفص هذا شيخ ابن القارح في القراءة ، ويتضح هذا من قول ابن القارح في رسالته : «... وأبي حفص الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد ...» وأبو بكر هذا إمام القراءة في المئة الرابعة ، وهو الذي اختار القراءات السبع المعروفة» .

هذا ما كنت كتبته في تلك الأيام ، إلا أن مجلة «الكتاب» أسقطته فيما أسقطت ، ويظهر أن المحققة رأت أصول المقال ، فعلقت في الطبعة الثانية مرجحة قراءتها (الكتاني) قالت : «.. وهي بلا ريب أقوى وأرجح ..» . والكتاني هذا ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فيمن أخذوا عن ابن مجاهد ، ثم ترجم له أيضاً وذكر من أخذوا عنه ، إلا أنه لم يذكر ابن القارح فيهم .

٢١ - أورد الشيخ ص ٥٣٤ أبياتاً قيل إنها لطفيل الغنوي يمدح رسول الله (ﷺ) ، وأولها :

وأبيك خيرٍ إن إبل محمد عُزُلٌ تناوح أن تهب شمال

هكذا جاء ضبطه في كلتا الطبعتين (خيرٍ) و (عُزُلٌ) وصوابه كما رواه المرتضى في أماليه ٢/١١٦ :

وأبيك خيراً إن إبل محمد عزلٌ تناوح أن تهب شمال

ورواه أيضاً ابن رشيق في العمدة ٢/٩٨ ، وروايته :

وأبيك حقاً إن إبل محمد عزل نوائح أن تهب شمال

وشرح المرتضى البيت قال: « أراد : أبيك الخير، فلما طرح الألف واللام نصب .
والعُزْل : التي لا سلاح معها ، وسلاح الإبل سنامها وأولادها ، وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمنها وحسن أجسامها ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها ، فلما كان ذلك صاداً عن الذبح ، ومانعاً منه ، جرى مجرى السلاح لها ، فكأنه يقول: هذه الإبل وإن كانت ذوات سلاح ، من حيث كانت شحمة سمينة فهي كالعزل إذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها » . وانظر حول هذا المعنى وأمثاله المعاني الكبير لابن قتيبة ١ / ٣٩١ — ٣٩٢ وسمط اللآلي ٦٣١ — ٦٣٢ ، وأساس البلاغة ولسان العرب (رمح) .

٢٢ — قال أبو العلاء ص ٥٦٣ « ... ولا كالدينار في البيت الذي أنشده أبو عمر الزاهد .. » .

وترجمت المحققة — في كلتا الطبعتين — لأبي عمر الزاهد هذا على أنه « أبو عمر الزاهد الدمشقي من كبار مشايخ الصوفية وساداتهم .. » وكنت استدركت في مقالي السابق على المحققة هذا وقلت : « ولا شأن لأبي عمر الزاهد هذا في رواية الشعر . والمراد هو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب » وعلقت المحققة على كلامي بقولها : « الذي بدا لي أن هذا البيت بأبي عمر الزاهد المتصوف أشبه .. » . ولكن هذا لا ينهض حجة على ما قلنا ، فالمعروف في الرواية واللغة إنما هو غلام ثعلب .

* * *

هذا ما عنَّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران ، وإني لأشكر من رأى فيما أبديت خطأً فردني إلى الصواب ، كما أشكر المحققة الأديبة جهدها وخدمتها للأدب ولغة العرب .

راتب النفاخ

مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

خلال عامين من رئاسته (من ايلول ١٩٥٥ الى ايلول ١٩٥٧)

طبعت في دمشق عام ١٩٥٧ في ٢٢٨ صفحة من قطع الوسط

ويلي النص مجموعة من الصور التذكارية

رافق فخامة الرئيس الأول الفكرة التحررية منذ نشأتها وناضل مع المناضلين الأحرار في سبيل بعث القومية العربيـة وتحقيقها ، ولم يتطرق الى نفسه رغم وعورة مسالكها اليأس ولا خامرها الوهن ، جالد الإرهاب وصابر الاضطهاد ، وقارع بأس الاستعمار في عنفوان سلطانه ، وله في كل مرحلة من مراحل نضال الأمة ونهضتها مآثر حميدة وقبس منير ، سارت بهديه البلاد ، وجنت بقيادته الرشيدة أطيب الثمرات .

أخلص فخامته لشعبه بأعماله ، وصدقه القول ، ولم يتخلف له وعداً ، ولم يحنث له بعهد ، فهو له الصادق الأمين والمرشد الحكيم ، شارك شعبة في آماله وآلامه ، وأفراحه وأتراحه ، ومنحه الأمة ثقتها طوعاً ، وألقت اليـه باختيارها مقاليد أمورها .

ومن حسناته السماح بجمع هذه الخطب ونشرها تمـلاً للذكرى وشحذ الهمم ، وهي صفحات مشرقة نقية ، رائدها الصراحة والإخلاص والوفاء ، مجموعة خطب بل مجموعة حكم ألقاها فخامته خلال عامين اثنين في مناسبات مختلفة وأحداث هامة في حياة الشعب السوري ، وهي كما وصفها في مقدمته ناشر هذه المجموعة : « سجل وقائع ، وتوضيح مناهج ومبادئ ، ودعوة في كل مناسبة إلى النضال والعمل ، والدأب في سبيل حرية العرب ووحدتهم ، وفي سبيل تأمين حياة كريمة عزيزة ، وفورة الرخاء في ظل العدالة الاجتماعية لكل سوري ولكل مواطن عربي » .

أمد الله في حياته لأداء رسالته وتحقيق آماله .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

انتخاب
رئيس المجمع العلمي العربي

انتهت مدة انتخاب معالي الأستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ ، فعقد المجمع العلمي العربي جلسة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ وجدد بالإجماع انتخابه لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقمه ٣٥١٤ بتاريخ ١٢ كانون الأول سنة ١٩٥٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفاة الأستاذ ا . ايفيكين برتلز
(١٨٩٠ ـ ١٩٥٧)

نعى إلينا معهد الدراسات الشرقية في موسكو الفقيد ١٠١ · برتلز أحد أساتذة المعهد البارزين ، والعضو المراسل للمجمع العلمي العربي ومجمع العلوم السوفياتي ، والعضو الفخري في مجمعي العلوم الإيراني والتركماني . وقد خسر بوفاته الاستشراق علماً من أعلامه العاملين . وكان الفقيد كأستاذه وصنوه المرحوم كراتشكوفسكي حجة في اختصاصه ، عميق الغور في أبحاثه ، شملت معارفه ودراساته رقعة واسعة من العالم الإسلامي الآسيوي ، وتعددت بقدرها خصائصه وتنوع مواضيعه .

ولد الفقيد برتلز في عام ١٨٩٠ ، وهو ابن طبيب من بطرسبورغ ، انصرف في بادئ أمره الى العلوم الطبيعية ، وألف على حداثته أبحاثاً فيها ، ثم درس الحقوق وانتسب في ذات الوقت الى المعهد الموسيقي ثم توجه أخيراً الى الاستشراق ، فدخل في عام ١٩١٨ الكلية الشرقية في جامعة بتروغراد ، وكان من أبرز أساتذته : بارتولد وكراتشكوفسكي وفريمان وروماسكيفتش وسميرنوف وغيرهم من أفاضل المستشرقين ، فنال منها شهادة الدكتوراه في علوم اللغات . وما كاد يتخرج من الكلية الشرقية حتى لمع اسمه وتبوأ مركزاً سامياً بين علماء الاستشراق وتميز عنهم بتعدد اللغات التي يحسنها ، وكان يتقن أربعاً وعشرين لغة غربية وشرقية استعملها في أغراضه العلمية . وعهد اليه في سنة ١٩٥٠ مديرية شعبة تاريخ الشرق السوفياتي وثقافته ، ومنح تقديراً لعلمه جائزة ستالين .

وقد يطول بنا سرد مفردات مؤلفات الفقيد البالغة (٢٣٠) بحثاً أكثرها باللغة الروسية ونقتصر على التعريف بموضوعاتها :

ترجم كثيراً من النصوص العربية والسنسكريتية والطاجيكية والبوشتو والاوزبكية والتركانية والازربيجانية والفارسية والتركية ، ووضع كتابين في قواعد اللغتين الفارسية والبوشتو ، وأشرف على وضع المعاجم التاليـة : رومي طاجيكي ، وطاجيكي رومي ، وأفغاني رومي ، وله دراسات واسعة عن تاريخ الأدب الفارسي والطاجيكي والاوزبكي والتركاني والأدب العربي في القرون الوسطى . وله أبحاث طويلة عن التاريخ الإسلامي والمذهب الصوفي .

ويعتبر الفقيـد رحمه الله باعث النهضة الثقافية بين شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس . وكان في طليعة المستشرقين العاملين انتاجاً ومن أوسعهم آفاقاً ، وافاه أجله قبل أن يستنفد نشاطه وتفتر همته فأدى على أكمل وجه رسالته ، وخلد بتصانيفه ذكره .

رحمه الله رحمة واسعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرحوم الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

(١٨٩٧ ـ ١٩٥٧)

وفاة الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

فجع المجمع العلمي العربي في دمشق بعضو من خيار أعضائه المراسلين في فلسطين ، وهو المرحوم عادل زعيتر ، وخسرت الثقافة العربية بفقده أحد أعلامها العاملين ، كان رحمه الله من رجال القانون اللامعين والساسة المناضلين المخلصين ، اكتسب في فلسطين ثقة مواطنيه وتقديرهم .

ولد الفقيد في نابلس سنة ١٨٩٧ وأتم فيها دراسته الابتدائية ، ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية في بيروت وحصّل الآداب في الكلية السلطانية بالآستانة .

دُعي الى الجندية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ ، وكان من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني . ولما اضطهد الترك العرب انضم الى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ، فحكم عليه الترك بالإعدام غيابياً سنة ١٩١٧ . ناب في عام ١٩١٩ عن نابلس في المؤتمر السوري ، وكان في جملة من نادوا بملكية فيصل على سورية ، وساهم في وضع دستور المملكة السورية لذلك العهد ، واشترك في جميع المؤتمرات الفلسطينية .

دخل في سنة ١٩٢١ كلية الحقوق في جامعة باريس ونال في سنة ١٩٢٥ شهادتها ، ثم عاد سنة ١٩٢٧ الى فلسطين وامتهن فيها المحاماة ، ودرّس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الاقتصاد السياسي والمالي والفقه الدستوري والدولي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق بالقدس . ثم استقال من التدريس وانقطع الى العلم والأدب والسياسة المثالية . انتخب في سنة ١٩٥٣ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وانتخب في سنة ١٩٥٥ عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق .

ونقل الى العربية من روائع المؤلفات الغربية الكتب التالية :

١ – روح الشرائع (جزآن) لمونتسكيو .
٢ – العقد الاجتماعي .
٣ – أصل التفاوت بين الناس .
٤ – إميل أو التربية لجان جاك روسو .
٥ – حضارة العرب .
٦ – حضارات الهند .
٧ – روح الجماعات .
٨ – السنن النفسية لتطور الأمم .
٩ – فلسفة التاريخ .
١٠ – روح التربية .
١١ – حياة الحقائق .
١٢ – الآراء والمعتقدات .
١٣ – روح الثورات والثورة الافرنسية .
١٤ – روح الاشتراكية .
١٥ – روح السياسة .
١٦ – اليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغوستاف لبون .
١٧ – ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية لبوتول .
١٨ – النيل .
١٩ – البحر المتوسط .
٢٠ – كليوباترة .
٢١ – بسمارك .
٢٢ – نابليون .
٢٣ – ابن الإنسان .
٢٤ – الحياة والحب لإميل لودفيغ .
٢٥ – حياة محمد لإميل درمنغم .
٢٦ – تاريخ العرب العام لسيديو .
٢٧ – الآلهة عطاش .
٢٨ – حديقة أبيقور لأناتول فرانس .
٢٩ – كنديد أو التفاؤل لفولتر .
٣٠ – أصول الفقه الدستوري لاِيسمن .

وله في الموضوعات التي ألقاها في معهد الحقوق بالقدس مؤلفات لم تطبع . كان الفقيد في طليعة المترجمين ، أميناً في نقله ، سلياً في أسلوب إنشائه ، رحمه الله رحمة واسعة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤتمر الأدباء العرب

خلال الأسبوع الثاني من هذا الشهر (٩ — ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٧) انعقد في القاهرة المؤتمر الثالث للأدباء العرب، وقد دعت إليه جمهورية مصر، ولبت الدعوة وفود الدول العربية، وجعلت مقرها قاعة المتحف الزراعي، واتخذت موضوعها «الأدب والقومية العربية» يتحدث فيه الأدباء من كل قطر عربي خلال ستة أيام كان أولها للافتتاح وآخرها للاختتام، وفيما بينهما انقسمت الأحاديث إلى عناوين أربعة هي: الشعر، والنثر، والنقد، وحماية الأديب، وصلتها كلها بالقومية العربية.

وكان لا بد أن يذهب الأدباء مذاهب شتى في فهم هذه العناوين والتعبير عنها ومناقشتها، يحملون في أقوالهم ثقافة قطرهم ومشربهم ومنحاه، ويختلفون باختلاف أسنانهم من شباب، وكهولة، وشيخوخة، ومن انصراف الى بعض الأدب القديم ومتانته وروعته إلى عكوف على بعض الأدب الحديث في سهولته وطرافة ألوانه وغرابة فنونه، ومن نظرة إلى لغة العرب على أنها مقدسة كريمة من نبع عظيم، ونظرة أخرى على أنها واسطة للتعبير ليس غير، صالحة للتلوين والتبديل لعلها تشبه الألوان المستحدثة في لغات الغرب.

وكانت فرصة لمؤرخ الأدب العربي الحديث أن يستمع إلى شباب يجدون الشعر في أقوال لا يربط بينها وزن ولا يحدها بحر، ولا يصلها معنى بمعاني الشعر العربي الموروث. ويستمع إلى آخرين يريدون العامية في الحديث والكتابة، ويرون أن المسرحية أو القصة تسقط حين تكتب في الفصحى، وتسمو إلى ذرى القوة حين ترمم في العامية، ثم يستمع إلى نقد هذه الآراء كلها.

وكانت كذلك مناسبة فريدة أن يستمع مؤرخ العصر إلى ألوان الفهم عند الشباب وغير الشباب في موضوع القومية العربية، فهي ترتبط حيناً بالدين،

وحيناً بالعرق ، وأحياناً بالعنصرية والتاريخ . فبعضٌ يرى القومية في ترابط العرب ، وبعض يراها في اتحاد المسلمين ، وبعض يرى أن تكون في أهدافها إنسانية عالمية تجمع العالم بأقوامه وأقطاره .

وطبيعي أن يتحدث الأدباء عن نظريات الأدب المختلفة في قوالبه الجمالية والمثالية ، أو في خدمته وأنواعه ، وأن يتطرقوا إلى نظرية الفن للفن أو الفن للشعب . وأن يتساءلوا هل يرتفع الأديب إلى مستوى المثالية ، ويرفع إليه قراءه من الشعب ، أم ينزل من مستواه إلى أبناء الشعب ليفهموه ويدركوا أقواله .

وقد تحدث الدكتور طه حسين عن القومية العربية في الشعر القديم ، ورأى أن نتمسك بالقطامي والأخطل لأنهما عربيان ، ثم نظر إلى الأديب فجعل له الحرية في فنه وقوله لأن انتاجه وعبقريته ونبوغه مفخرة لقومه وأمته فلا سبيل إلى أن نفرض على الفنان طريقة أو منهجاً . ولكنه رأى أن يقوم الأديب بواجبه نحو أبناء وطنه يشعر بمشاعرهم ويتحسس بآلامهم ، وأن تنهض الأمة بواجبها نحو أدبائها . وتحدثت الدكتورة سهير القلماوي عن تطور القومية العربية وصلتها بالأدب فرسمت السبل الواضحة البيّنة لأدب المستقبل . وارتفع الأستاذ محمود المسعدي إلى ذروة النقد والفن المثالي في تحليل الأدب والقومية العربية وحرية الفنان وصلته بالإنسانية ، فكان مع زميليه اللذين ذكرنا واسطة العقد من هذا المؤتمر .

واشترك في الخطابة أدباء وعلماء كالشيخ محمد بشير الإبراهيمي عن الجزائر ، والأستاذ عبد الله كنون عن المغرب ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين عن العراق ، فكانوا في مباحثهم على هدوء العلماء وأناة الباحثين وعمق المفكرين الناقدين ، فاستحقوا إعجاب السامعين وثناءهم .

وكان من الطبيعي كذلك أن يتحدث المؤتمر عن الوعي القومي والسياسة التحررية والنضال الشعبي والحياد الإيجابي ، وموقف الأدباء العرب من هذه المفاهيم المستحدثة في ألفاظها ، القديمة في ألوانها ، وتطرقوا الى الأوطان السليبة والربوع المهددة كالجزائر الحبيبة وفلسطين المنكوبة ، وسورية ومصر

المجاهدتين ، مما استثار الحماسة والأسى والوطنية ، وانتهى بالسامعين إلى قرار الدفاع عن الوطن العربي بأقلام الأدباء والكتّاب لحفاظ على قوميتنا وتراث شعبنا .

ولا شك في أن هذا المؤتمر كان سوقاً للشعر والخطابة والحديث والمناقشة ، يستحق التسجيل على أنه يمثل بعض التيارات المعاصرة ، ويصور بعض الآراء المستحدثة في النصف الأول من القرن العشرين ، ولعل هذا ينبّه الأذهان إلى ضرورة البحث والدرس والتأليف ، ويدفع إلى التفكير بانشاء فروع في المجامع العلمية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد لبحث هذه النظريات ، وتأليف كتب في تأريخ القومية العربية ومختارات للأدب العربي القومي نثره ونظيمه ، في أناة عاقلة وحكمة بالغة ودرس طويل . فليس الارتجال طريقاً إلى صنع المناهج الدائمة ، وليس النقاش السريع من أسس البحث المنظم العاقل ، لأن نتائجه تذهب بذهاب الزمن الذي قيلت فيه . ولعلّ مجامعنا العربية تصغي إلى ندائنا فتقدم للشباب خبيرة دراساتها وعميق فهمها وواسع اطلاعها ، لعلهم يستنيرون بهديها ويأخذون بنظمها ، قبل أن تستولي عليهم بعض منازع الفكر الأجنبي المرتجلة وثورات الأدب العصبية فتبعدهم عن جذور التراث الكريم ، وتربطهم بفرع من فروع التفكير التي لا تتصل بماضينا ولا تصلح لحاضرنا ولا تمكّن للأسس السليمة في مستقبل أدبنا وقوميتنا .

الدكتور سامي الدهان

ابن سينا الشاعر

الشيخ الرئيس ، وإن كان رجل حكمة وفلسفة وطب ، اشتهر اسمه بها ، وقيس به سواه فيها ، حتى قال ابن عنين ، أديب الشام (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) يمدح الإمام فخر الدين الرازي ، في قصيدته اللامية :

غلط امرؤ بأبي علي قاسه هيهات قصّر عن مداه أبو علي [1]

(١) ديوان ابن عنين (طبعة دمشق ١٣٦٥) ص ٥٤ ، من كلمته التي اولها :
ريح الشمال عساك أن تتحملي خدمي إلى المولى الإمام الأفضل

هو أيضاً ، متظرف يطرب إلى الأدب ، ماجن لا يلهيه الدرس عن الشراب [1] والغناء .

رزق الشيخ ابن سينا صفاء الأدباء ، وتخلق بأخلاق أولي الظرف ، وقد أوتي حسن الطبع ، وبلاغة المنطق ، وفصاحة الكلام ؛ فتعاطى القريض ، وقال الشعر ، وعالج النظم . فقد حدثنا – وهو صادق – أن والده أحضر له معلم الأدب – وهو في غضاضة الغصن – وأنه بلغ ما بلغ أولو الكمال ، وهو في أوائل الصبا [2] .

ثم أتيح له أن يظفر بخزانة نوح بن منصور ، التي فتحت له أبوابها في بخارى ، فقرأ ما بها من كتب العربية ، واطلع على مجموعات الأدب ، ودواوين الشعر ؛ وهو لم يكمل ثماني عشرة حجة [3] . وقد كان الشعر نسحته إذا ناب خطب ، وعوذه إذا اشتد زمان ؛ ينفس به كربه ، ويفرج بإنشاده همه [4] ؛ فقد قال – وهو يعاني ما ينوء بأمثاله من الغبن – :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري

وقال – وهو في السجن – :

دخولي في اليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

وقد كان – على فضله – ماجناً (كما مر) ؛ قال تلميذه الجوزجاني : إنه كان يجمع تلاميذه في داره كل ليلة ، فكانوا إذا فرغوا ، حضر المغنون والشراب [5] .

لقد بلغ هذا الطبيب الأديب – على كل حال – مرتبة أكابر أئمة اللغة المحققين ، وقصته مع أبي منصور الجبان ، شاهد عدل ؛ استطاع أن يكتب ما يصح

(١) اعتذر ابن سينا عن نفسه بأنه كان يشربها تداوياً . (لجنة المجلة)
(٢) سر گذشت (طبعة طهران ١٣٣١ ش) ص ١ .
(٣) المرجع المذكور ص ٤ – ٥ .
(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٥) سر گذشت ص ٧ – ٨ .

انتسابه إلى الصابي ، والصاحب ، وابن العميد ، ونظم أشعاراً في الغريب ، وألف معجماً سمّاه (لسان العرب) [١] ، وصنف رسالة في أسباب حدوث الحروف ومخارجها ، وعمل القصيدة المزدوجة في المنطق [٢] ، ومعتصم الشعراء في العروض [٣] ، وله خطب وتحميدات وأسجاع كثيرة [٤] ، تنم على وفور فضله ، ونظم القصائد والأشعار في الزهد ، يصف فيها أحواله [٥] ، كما تضاف إليه أراجيز في الحكمة والمنطق والطب [٦] ، وله ـ كذلك ـ رسائل بارعة بالعربية والفارسية ، ومخاطبات ، ومكاتبات ، ومراسلات ، وهزليات . ويعدّون في رسائله (كتاب الملح في النحو) [٧] .

وقد استشهد الرضي الاسترابادي ـ المتوفى سنة ٦٨٦ ـ بشيء من شعره في باب الحروف العاطفة من كتاب (شرح الكافية) [٨] ، وهو قوله :

صبيان عندي إن برّوا وإن فجروا   إذ ليس يجري على أمثالهم قلم [٩]

وهذه منزلة رفيعة ، لم يرزقها إلا الأقدمون من فحول الشعراء ، قبل طبقة بشار بن برد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ص ٢٠١ .
(٢) سرگذشت ص ١٦ .
(٣) المرجع المذكور ص ١٧ .
(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٦) تراجع فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ، تأليف يحيى مهدوي (طبعة طهران ١٣٣٣ ش) ص ٢٥ – ٨ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٧١ – ١٨٠ ، و ص ٢٢٥ .
(٧) سرگذشت ص ١٨ .
ومما يؤكد اهتمامه بالأدب والشعر ، ما قاله ابن ماكولا : انه رأى ديوان شعر الإمام أبي بكر الزاهد ، وأكثره بخط ابن سينا (تراجع الجواهر المضية في طبقات الحنفية طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٣٢ ، ج ١ ص ١٩٥) .
(٨) شرح الكافية (طبعة استانبول ١٣١٠) ج ٢ ص ٣٧٦ ، وتراجع خزانة الأدب الشيخ عبد القادر البغدادي (مصر ١٢٩٩) ج ٤ ص ٤٦٤ .
(٩) البيت من كلمته المطولة التي أوّلها :
يا ربع نكّرك الأحداث والقدم   فصار عينك كالآثار تتهم
تراجع خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٥ – ٦ .

هذه نبذة صغيرة من مقام الرجل في العربية والأدب ، وهو الذي قال في كلته التي منها الشاهد المذكور آنفاً :

أما البلاغة فاسألني الخبير بها   أنا اللسان قديماً والزمان فم [1]

أمّا الشعر فإنه ذو اللسانين ، وله شعر جيد في العربية والفارسية [2] • ويوجد في أياصوفية ديوان صغير جداً [3] عدته ١٠ صفحات ، قوامه ١٨٨ بيتاً .

هذا وقد نسبت إلى ابن سينا أراجيز مختلفة ، وشعر كثير ؛ منه الرائية الطويلة التي أولها :

يربك أيها الفلك المدار   أقصد ذا المسير أم اضطرار

وهي ٥٠ بيتاً ، وقائلها ؛ هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن شبل ، البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٤ هـ [4] • والأرجوزة التي ذكرها الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ في كتاب (حياة الحيوان) ؛ وقال : قيل إنها لابن شيخ حطين [5] .

أما عينيته التي عني بها الناس قديماً وحديثاً ، فلعل أقدم أصولها الموجودة ، يرجع إلى حدود سنة ٥٨٠ هـ [6] ، وهي عشرون بيتاً • وقد قال ابن أبي الوفاء ، المتوفى سنة ٧٧٥ هـ : إنها ١٦ بيتاً [7] .

---

(١) ديوان ابن سينا (وستأتي صفته) الورقة ٤٣ أ .
(٢) خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٧ .
(٣) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ [الرسالة الثامنة] الورقة ٤١ أ – ٤٥ أ نسخة (اياصوفيه كتبخانه سي) وقد تفضل صديقنا المحقق الجليل الأستاذ مجتبى المينوي فأذن لي وصورتها على المايكروفلم الموجود عنده في خزانته بطهران ، وقد نخمن هو تاريخ كتابتها سنة (٥٨٠ – ٦٠٠ هـ [ظ ؟]) . ويراجع كتاب مؤلفات ابن سينا للأب جورج شحاته قنواتي (مصر ١٩٥٠) ص ١٢١ – ٢ .
(٤) ارشاد الأريب لياقوت الحموي (طبعة مرغليوث ١٩٢٧ ، ج ٤ ص ٣٨ – ٤١) ونسبها إلى الشيخ ابن سينا من المتأخرين الشيخ محمد علي بن علي بن محمد عز الدين الشامي العاملي الحاوي الصوري المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ في الجزء الأول من كتاب (سوق المعادن والحلل وكل ما يسرّ الأفئدة ويقرّ المقل) نسخة الشيخ عبد الله السبيتي في الكاظمية . ويراجع – أيضاً – كتاب مؤلفات ابن سينا ص ٣٢١ .
(٥) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري (مصر ١٣١١) ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٦) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ في اياصوفية / الرسالة الثامنة – الورقة ٤٤ ب – ٤٥ أ .
(٧) الجواهر المضية ج ١ ص ١٩٥ .

وقد رواها : محيي الدين بن عربي [(١)]، وابن أبي أصيبعة [(٢)]، وابن خلكان [(٣)]، واليافعي [(٤)]، وابن كثير [(٥)]، والدميري [(٦)]، والبهاء العاملي [(٧)]، وعبد الرؤوف المناوي [(٨)]، وابن العماد [(٩)]، والسيد نعمة الله الجزائري [(١٠)]، والسيد عباس الموسوي المكي [(١١)]، والحاج ملا هادي السبزواري الحكيم [(١٢)] وفئة كثيرة من المتأخرين [(١٣)].

وقد شرحها طائفة من الأفاضل [(١٤)]، وقلدها كثير من الشعراء، ورد عليها

(١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (مصر ١٣٠٥) ج ١ ص ١١٩ .
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مصر ١٢٩٩) ج ٢ ص ١٠ - ١١ .
(٣) وفيات الأعيان (مصر ١٢٦٧) ج ١ ص ٤٢٢ - ٣ .
(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد الدكن ١٣٣٨) ج ٣ ص ٥٠ .
(٥) البداية والنهاية (مصر ١٣٥٨) ج ١٢ ص ٤٢ - ٣ .
(٦) حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٧) الكشكول (مصر ١٢٨٨) ص ٢٤٥ - ٦ ، و (طهران ١٢٩٦) ص ٢٦٣ .
(٨) شرح قصيدة النفس (مصر ١٣١٨) ص ٢٧ - ١٤٤ .
(٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مصر ١٣٥٠) ج ٣ ص ٢٣٦ - ٧ .
(١٠) مقامات النجاة (نسخة حكمت آل اغا ، في طهران ، المخطوطة سنة ١٢٢٨) الورقة ١٤٤ ب .
(١١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (مصر ١٢٩٣) ج ٢ ص ٢٢٠ .
(١٢) أسرار الحكم (طهران ١٢٨٦) ص ٢٩٠ - ٣٠١ .
(١٣) دانشنامه ناصري (طهران ١٢٩٦) ص ٧٩ ، وتسع رسائل في الحكمة والطبيعيات (قسطنطينية ١٢٩٨) ص ١٢٩ - ٣٠ ، وكتاب بلوهر وبوذاسف (بمبي ١٣٠٦) ص ٢٨٧ - ٨ ، ومنطق المشرقيين (مصر ١٣٢٨) المقدمة صفحة كب - كج ، ومطرح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار لعبد الحسين الطبيب التبريزي (تبريز ١٣٣٤) ج ١ ص ١٤٤ - ٥ ، وجشن نامه للدكتور ذبيح الله صفا (طهران ١٣٧١) ج ١ ص ١١٦ - ٧ ؛ وشرح عينية ابن سينا بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ (طهران ١٩٥٤) ص ٣ - ١٢ .
(١٤) تراجع فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ص ١٩٥ - ٧ ، وكشف الظنون (طبعة تركية ١٩٤٣) ج ٢ ص ١٣٤١-٢ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٥٢ - ٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض أشياخ الحكمة ، وأجازها شرذمة من فحول الأدب والشعر ، وأكاد أميل الى القول ان خير من ردّ عليها ، الأديب العراقي ، الشيخ عبد علي الحويزي المشعشي ، البصري [١] ، في قصيدته المشهورة ، التي أولها :

لا ابتداء إلاّ له إنتهاء جلّ من كلّ شأنه إبتداء [٢]

وقد كنت عنيت أنا بإخراج العينية وتحقيقها في مهرجان ابن سينا الألفي بطهران سنة ١٣٧٣ هـ ، كما وازنت بين أشعار الشيخ العربية والفارسية ، والظن كل الظن أن أشعاره الفارسية ـ وإن كانت قليلة ـ خير من شعره العربي ، وفور معان ، وجودة إنشاء ، وفصاحة بيان .

الدكتور حسين علي محفوظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) هو الشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي ، من أفاضل تلاميذ بهاء الدين العاملي . كان فاضلاً بارعاً ، شاعراً فائقاً ، من أشياخ الأدب في عصره ، ويعدّ من الطراز الأول في صناعة الكتابة ، قرّبه ولاة البصرة ، وأحسنوا إليه ، فلازمهم حتى مات بها في أواخر القرن الحادي عشر ، وخلف آثاراً جليلة كثيرة . له ترجمة في سلافة العصر للسيد علي خان المدني (مصر ١٣٣٤) ص ٥٤٦ – ٥٤) وريحانة الأدب لمحمد علي التبريزي الخياباني المدرس (طهران ١٣٦٦ – ٧١) ج ١ ص ٣٥٧ – ٨ ، وروضات الجنات للسيد محمد باقر الخوانساري (ايران ١٣٦٧) ص ٣٥٤ – ٥ ، وأمل الآمل لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ايران ١٣٠٧) ص ٤٨١ – ق ٢ ، وخلاصة الأثر للمحبي (مصر ١٢٨٤) ج ٢ ص ٤٢٧ – ٢٢ ، وفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي (طهران ١٣٣٩ ش) ج ١ ص ٢٣٧ – ٨ ، والتأسيس للسيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠) ص ١٨٢ .

(٢) أثبتها الشاعر نفسه في باب (حلي الأفاضل) من كتابه كلام الملوك ملوك الكلام ص ١٤٧ – ٨ نسخة دار الكتب الوطنية (كتابخانه ملي) بطهران ، المرقومة ٩٠٧ / مخطوطات . المكتوبة سنة ١٢٨٤ هـ .

(الفواهق)

في البيت السادس من عينيَّة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، القائل :

فَخَالَفَهَا عَارِي الفَوَاهِقِ شَاسِبٌ أَخُو قَفْرَةٍ أضحى وأمسى مُجَوَّعَا

جاء التعليق على كلمة « الفواهق » في الحاشية كما يلي : « كأنه أراد بالفواهق جمع فهقة ، وهي عظم عند مركّب العنق ، ولكن جمعها فِهَاق ، ولذلك رأى محقق الطبعة المصرية أنها مصحفة عن « النواهق » وقال : « النواهق : العظام الشاخصة بجوار العين ، » ولكن يردّ على ذلك أنّ النواهق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة . »

وأرى أنها « الفواهق » لا تصحيف فيها ولا لبس . وهي جمع « فاهقة » وقد جرت على القياس المعروف في جمع « فاعلة » . والفاهقة هي الفهقة ذاتها . يعزّز ذلك أن كثيراً من أنحاء الشوف بلبنان ولا سيما بلدتنا ، تجري فيها هذه الكلمة « الفاهقة » على ألسنة الكبار والصغار ، حقيقةً ومجازاً . ولست أذكر أني سمعتها من أحد إلاّ بهذا اللفظ . يقول من يأتي الماء في يوم حرّ : « لقفت الماء على وجهي وفاهقتي » . ويقول المغيظ المحنق : « امتلأتُ الى فاهقتي » .

إن المتكلمين باللغة العامية يغلب أن ينقلوا الألفاظ عمّن تقدّمهم نقلاً أميناً ، جيلاً بعد جيل . وفيما نعلم أن عائلتنا جاءت لبنان من نواحي الأردنّ من نحو أربعمائة سنة . وانّ أجدادنا من « هوازن » نزلوا في بعض أنحاء الأردن منذ الفتح العربي ، في مكان غير بعيد عن « الفَلَجة » موطن الشاعر الحارثي . وعندي أنّ تلك الجماعات المتجاورة قديماً استعملت « الفاهقة » وتناقلتها بهذا اللفظ ، بدليل ورودها في قصيدة عبد الملك ، وبقائها محفوظةً متناقلةً عندنا الى هذه الأيام . وأرى أنهُ لا يقدح في هذا كون الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى .

وورد في البيت الثالث ص ٥٦٦ : « فما شَقَّ ضوءُ الفجر حتى تَصَدَّعت » . وهنا استعمل فعل « شَقّ » على نحو ما تحكيه جماعتنا باللغة العامية ، إذ تقول : « شَقَّ الضوء ، وشقَّ الفجرُ ، وقتُ شَقَّةِ الفجر ، الخ » . لعلَّ في هذا سنداً لذاك ، والله أعلم .

عارف أبوشقرا

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

٣ جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام . . للأستاذ خليل مردم بك . .
٢١ مصطلحات الاجتماعيّات النباتية . . . للأمير مصطفى الشهابي . .
٣٦ ضوء جديد على دانتي والإسلام . . . بحث للأستاذ فرنسسكو غابريلي . ترجمه الأستاذ موسى الخوري .
٥٦ العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية (٢) . للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٨٠ ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (٤) . للدكتور حسني سبح .
٩٦ كتاب النفس لابن باجّة الأندلسي (١) . للدكتور محمد صغير حسن المعصومي

التعريف والنقد

١١٢ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي . للأستاذ عبد الله كنون . .
١٢٤ خريدة القصر وجريدة العصر (١) . . للدكتور مصطفى جواد .
١٣٥ مقدمة ابن خلدون (٢) . . . للأستاذ عارف النكدي .
١٣٩ ثلاثة أزهار في معرفة البحار . . للدكتور عزة النص .
١٤٦ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (٢) . للأستاذ راتب النفاخ .
١٥٥ مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي . الأمير جعفر الحسني . . .

آراء وأنباء

١٥٦ انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي . . . .
١٥٧ أعضاء المجمع العلمي العربي العاملون لعام ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م . . .
١٥٧ أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلون . . . .
١٥٩ أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون . . . .
١٦٢ وفاة الأستاذ ا . ايفيكين برتز . . . .
١٦٥ وفاة الأستاذ عادل زعيتر . . . .
١٦٧ مؤتمر الأدباء العرب . . . . . للدكتور سامي الدهان .
١٦٩ ابن سينا الشاعر . . . . . للدكتور حسين علي محفوظ
١٧٥ الفواهق . . . . . . للأستاذ عارف أبي شقرا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com